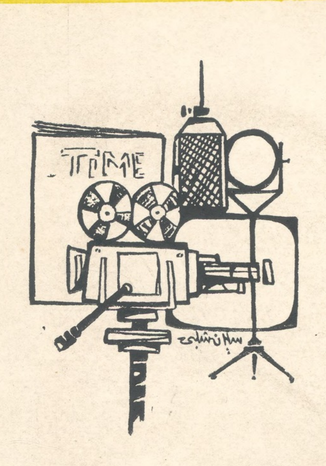
في المعركة

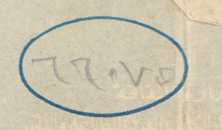


دعايتهم نصف الحرب

دراسة في استراتيجية الدعاية الصهيونية

محمد أحمد رمضان

Rare.
320.540
95694
R1654





THE LIBRARY



دعايتهم نصف الحرب

دراسة فى استراتيجية الدعاية الصهيونية

محمد أحمد رمضان

سينا للثقافة
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر
دار الكاتب العربى للطباعة والنشر

دواعى الكتاب

كان جوبلز وزير الدعاية الهتلرى يقول دائما : « الدعاية نصف الحرب » .

ونقحت اسرائيل هذه القاعدة الذهبية فجعلتها : الدعاية والذهب كفيلان باسدال الستار على أفظع الجرائم فى الحرب والسلم ..

ولكن العرب بوصفهم أكثر الناس ادراكا للاهداف الاستراتيجية الحقيقية للصهيونية العالمية ـ لم يعرفوا النسيان حتى بعد ١٩ عاما من هوان المحنة ، ولم يصدقوا حتى دعايات بعض حكوماتهم الرجعية، فأصبحت المعركة أعنف من أى وقت مضى : سافرة ، شاملة ، لا رجوع فيها .

واذا استمرت المعركة على هذا النحو فقد لا تكمل اسرائيل عامها العشرين .. وبعد ذلك فقط سيكشف التاريخ عن خفايا دعائية وسياسية محرمة تشيب لها شعور الاطفال . وستخرج الى النور عشرات وعشرات من المذكرات والوثائق السرية التى وأدها أصحابها خوف القتل والعزل والتشهير ..

بيد أن معظم دول العالم اليوم قد جعلها خبراء غسل المخ الصهيونيون شبه منومة مغناطيسيا ، لا يستثنى من ذلك اليساريون الاوروبيون ..

فأصحاب اليسار والاشتراكيون فى الغرب يستنكرون

العنصرية والفاشية ، والشوفينية (الوطنية المتطرفة) والثيوقراطية (الحكم الديني) وازدواج الولاء القومي ، وقمع حرية الشعوب في تقرير مصيرها ، والامبريالية العالمية ، والعدوان الامريكي على فيتنام وكوبا ، ومع ذلك كله تراهم يدافعون بجنون وبحقد يبلغ حد التشفي بالعرب — عن اسرائيل التي تتغنى وتتبنى كل هذه الفظائع .

واذا كان سارتر قد استنكر صمت فلوبير على ثورة الكوميون العمالية في باريس عام ١٨٧٨ فان التاريخ نفسه سيدين سارتر نفسه بصورة أقذع لأنه لم يصمت فحسب بل وأيد الامبريالية الاسرائيلية الامريكية في فلسطين حين قال عقب زيارته الأخيرة للشرق الاوسط في أوائل هذا العام بأن أية تسوية للصراع العربي الاسرائيلي يجب أن تنطلق من الاعتراف بوجود اسرائيل. هذا ما لم يراجع سارتر نفسه ويؤكد عمليا ما قاله للطفي الخولي في باريس بعد العدوان مباشرة وهو في حالة تقرب من التمزق الداخلي « : نعم ، لقد انخدعنا جميعا بطريقة أو بأخرى واتضحت لنا أمور خطيرة لم تكن واضحة أمامنا للأسف قبل ٥ يونيو » ..

والحق أن معظم هؤلاء المثقفين الضحايا قد دهشوا فعلا حين جمع كوسيجين في خطابه في الامم المتحدة بين ما حدث في فيتنام وكوبا وما حدث في العالم العربي. فالصحف اليسارية والاشتراكية المزيفة في أوروبا الغربية لم تخبرهم بذلك قط !

ومن منهم كان يتصور ان ذلك « الحمل الوديع الصغير » الذي تهدده « الذئاب العربية الجائعة » قد عكس الآية وكشف نفسه عن ذئب متنكر متوحش يطبق أساليب النازية حرفيا في فنون العنصرية وحرب الابادة ، والتهجير بالسلاح ، واستخدام الاسلحة المحرمة ، والتوسع الاقليمي بأي ثمن ؟ ..

ولكن المأساة الحقيقية هي مأساة الشعب الامريكي الذي ليس

له رأى عام . فبعد أن قدمت أمريكا لاسرائيل خطة الغزو والتكنولوجيا وطائرات التجسس والقتال وحاملات الطائرات ، وبعد أن كسبت اسرائيل المعركة ضد العرب ولم تعد بحاجة الى سفينة التجسس ليبرتى وأقمارها الصناعية على ساحل سيناء ، خشيت أن يأتى الدور عليها وتعرف السفينة مخططات اسرائيل القادمة التى قد لا توافق عليها أمريكا . وهكذا دمرتها بالطائرات وزوارق الطوربيد بعد أن رصدت أعلامها وأهداف الضرب أربع ساعات كاملة فى وضح النهار .. وتدل عملية الضرب المبرح على أن اسرائيل كانت لا تنوى مجرد تدمير السفينة بل اغراقها تماما كى تزول بصمات الجريمة وأجهزة التسجيل فيها وشهود الحادث .

وهكذا بينما كانت حاملات الطائرات الامريكية الحانقة تسدد صواريخها الانتقامية المروعة صوب القاهرة ، أدرك الاسطول السادس السفينة كبش الفداء فى الرمق الأخير وانكشفت المهزلة .. ورغم مقتل ٣٤ بحارا وجرح ٧٥ آخرين واعتراف الباقين الأحياء منهم بأن الهجوم كان متعمدا بل ومدروسا ، فقد أنكرت أمريكا رسميا ذلك ولم تعتبر هذه « الكارثة الالكترونية » فضيحة ، لأن الأخوة الأمريكية الاسرائيلية لا يمكن أن تتأثر بمثل هذه التفاهات .

ترى ما الذى جعل اسرائيل تجمع مائتى مليون دولار فى ثلاثة أسابيع من العدوان الثلاثى الاخير فى الوقت الذى لم تستطع فيه لجنة نصرة فيتنام فى فرنسا أن تجمع نصف هذا المبلغ المقرر خلال ستة شهور ؟ ..

وما الذى جعل بن جوريون يقول فى الكنيست الاسرائيلى فى أكتوبر ١٩٦٠ « ان عطف الامم القريبة والبعيدة هو الذى يمكننا مع الزمن من اختراق سور الحقد ، والمقاطعة ، الذى يحيط بنا » ؟ ..

انها الدعاية المنظمة بالدرجة الاولى ، فالدعاية تجلب العطف ، والعطف يجلب المال والسلاح والتأييد المعنوى ٠

ولقد قال الحاخام رايشورن ، فى اجتماع سرى لليهود على قبر قديسهم سيمون بن يهودا فى براغ عام ١٨٦٩ ، خلاصة المذهب الصهيونى فى السيطرة على العالم « اذا كان الذهب هو القوة الاولى فى العالم ، فالصحافة هى القوة الثانية ٠ ولكن الثانية لا تعمل من غير الاولى ، فعلينا بالذهب الاستيلاء على الصحافة وبذل المال لمن نجد نفوسهم مفتوحة لتقبل الرشوة ٠٠ وحينما نسيطر على الصحافة نسعى جاهدين الى تحطيم الحياة العائلية ، والأخلاق والدين » ٠

ان قول جيمس رستون رئيس تحرير النيويورك تايمز بان « الدعاية الصهيونية تسبق الأحداث والدعاية العربية تلهث وراء الأحداث » أمر يؤكده العرب أنفسهم قبل أن يؤكده ذلك الدبلوماسى الهولندى الذى قال ان الدعاية الصهيونية مثل أوركسترا متفاهمة بينما يعزف العرب ، كل على هواه ، نغمة فردية مختلفة تشوش حتى على النغمات العربية الفردية الاخرى التى لا يجمعها قائد واحد ٠

هذا التضارب الدعائى يبلغ أشده فى ما تردده بعض الأوساط العربية على الصعيد العالمى من ناحية وعلى الصعيد العالمى من ناحية أخرى . فأحيانا يقبل البعض ـ أو يتظاهرون بقبول ـ التقسيم ، وأحيانا لا يرضبون غير استرداد فلسطين كاملة .. وتارة يطالبون بعودة اللاجئين أو تعويضهم فحسب وتارة أخرى يطالبون بالقاء كل يهود اسرائيل فى البحر . ومرة يدعون الى تدمير اسرائيل ومرة لاتتورع قلة ضئيلة عن المطالبة بالصلح معها أو بالاعتراف بالأمر الواقع على الأقل ٠ وطورا يحملون اسرائيل والاستعمار المسئولية الكاملة عن ضياع فلسطين ، وطورا آخر يحملون الدول العربية المسئولية الاولى عن النكبة لتهاونها فى

تدمير اسرائيل وهى ضعيفة عام ١٩٤٨ • وساعة يقولون اننا ضد الصهيونية وحدها وساعة أخرى يقولون أننا ضد اليهودية العالمية لأن كل اليهود صهيونيون •

وحينا يؤكدون (استنادا الى التقلبات المفاجئة الشديدة فى بارومتر العلاقات السياسية بين الدول العربية) ان العرب لا توحدهم كلمة ولا يتبادلون الثقة ، وحينا آخر ينكرون ذلك ، خاصة فى الخارج ، وكأن الامر صعب التبرير •

ويوما يقولون « اللاجئين الفلسطينيين » • و « الفدائيين الفلسطينيين » ويوما آخر يقولون «اللاجئين العرب» و«الفدائيين العرب » على طريقة اسرائيل التى تصر على هاتين التسميتين الاخيرتين لتأكيد انقراض الكيان الفلسطينى وذوبان الفلسطينيين فى الدول العربية المجاورة .

وامتد هذا التضارب حتى بين الصحف والاذاعات الرسمية . . فعقب النكبة مباشرة اتهمت الصحف العربية حكوماتها بأنها هى التى طلبت من عرب فلسطين « ان يخرجوا مؤقتا كى تدخل جيوشهم » (وقد استغلت اسرائيل ذلك اذكى استغلال) ، هذا بينما ثبت ان الاذاعات العربية لم تطالب عرب فلسطين بالجلاء مطلقا •

بديهى أن تقدم الدعاية مرتبط بتقديم التدريب والتكنيك ، وهما أمران لا تملك الدول العربية النامية منهما نصيبا كبيرا . التنسيق اذن أضعف الايمان • والميدان الدعائى الوحيد الذى نجح فيه العرب ليس فى مكاتب الاعلام والجامعة العربية فى الخارج ، بل بين صفوف المبعوثين من الطلبة العرب ، خاصة فى امريكا • وقد استطاعت منظمة الطلبة العرب فى امريكا التى لم تزد ميزانيتها

في أي يوم عن ١٥٠ ألف دولار (رغم أن فروعها تزيد عن مائة) أن تكسب اتحاد طلاب الولايات المتحدة الى صفها فى مناسبات كثيرة منها تكذيب اتهام الحاخام بيرجمان الصهيونى على صفحات النيويورك تايمز عام ١٩٦٣ بأن المنظمة تزاول نشاطا لاساميا • بل ان الاتحاد الامريكى ذهب الى حد اتهام بيرجمان بأنه هو الذى يقوم بنشـاط ضد القومية العربية •

وقد اعترفت جريدة ها آرتس الاسرائيلية (٢٢-٤-١٩٦٦) بأن المعركة الدعائية فى المجال الجامعى قد كسبها العرب • وقالت بالنص :

« تعتبر المنظمات الطلابية المحلية والعالمية اليـوم هدفا هاما لأجهزة الدعاية التى تعمل من حول النزاع العربى الاسرائيلى • ولكن فى الوقت الذى يكرس فيه العالم العربى لهذه المنظمـات جهودا جبارة ومنسقة معتمدا على آلاف الطلاب العرب فى مختلف انحـاء العالم ، نجد اسرائيل تعتبر هذا الموضوع شيئا ثانويا • فبدلا من ان تشن الهجوم نجدها تتخذ موقف الدفاع » •

أما وان اسرائيل تعتبر الدعاية الطلابيـة أمرا ثانويا فغير صحيح ، فقد كانت احيانا ترسل مع وفدها منـدوبا عن وزارة الخارجية (مؤتمر اتحاد الطلاب العالمى فى صوفيا عام ١٩٦٥) • أما وان الطلبـة العرب قد كسـبوا المعـركة فأمر صـحيح الى حد ملحوظ •

وأستطيع أن أقول منخلال عملى بالدعاية الطلابية الفلسطينية عدة أعوام ان الامل الاكبر معقود على تدعيم الحـكومات العربيـة للمنظمات الطـلابية العربيـة في الخارج •• فمبعوثونا الجـامعيون يبلغون عشرات الآلاف (منهم حوالى سبعة آلاف فى أمريكا وحدها)، ولاتحاداتهم عشرات الفروع فى مختلف أنحاء العالم (لمنظمة الطلبة

العرب في الولايات المتحدة وكنـدا أكثر من ١١٠ فروع ، ولاتحاد طلاب فلسطين حوالى ٤٥ فرعا في اسيا وافريقيا وأوربا •)

ثم ان عدد طلاب اسرائيل في الخارج قليل جدا اذا قورن بما لدينا •• هذا فضلا عن ان شبابنا عقائديون متحمسون رغم اختلاف مذاهبهم•• وقد اثبتوا قدرتهم الملحوظة في التأثير على النخبة المثقفة من اساتذة وطلاب الجامعات الذين يخرج منهم قادة المسـتقبل في بلادهم • ولا ابالغ اذا قلت ان نسف الحجج الصهيونية في المؤتمرات الجامعية الدولية كان سهلا (واحيانا سهلا جدا) كما شهدت من خلال تجاربي • والمهم أن نبدأ بتصحيح المعلومات الخاطئة المضللة التي يبنى عليها الصهيونيون اسانيدهم دائما ، وبعد ذلك يسهل تدمير هذه الاسانيد نفسها من الاساس •

وهذا الكتاب يتناول أهم المعلومات والاسانيد التي يبنى عليها الصهيونيون دعايتهم سواء في المطبوعات أو الاذاعات أو المؤتمرات الدولية • ولئن وصلت جرأة دعايتهم الى حد اتخاذ شعارات بربرية مثل « ادفع دولارا تقتل عربيا » فلأن الخطأ في ذلك خطؤنا من حيث ترك الخصم يصول وحده في حلبة القتال (على المسـتوى الرسمي خاصة) • فعسى أن يساهم هذا الكتاب الموجز في كشف اسـلحة العدو المعنوية في معركة المصير العربي المحتومة وزيادة ثقتنـا في حقنا واسلحتنا غير المرئية وبالتالي زيادة ثقتنا في أنفسنا •

الحرب مع اسرائيل ليست حربا دينية او صليبية كما تزعم صحف الغرب اليوم فعداوة العرب لليهود في فلسطين قامت قبل مولد محمد نفسـه لاستبداد بني اسرائيـل وترفعهم • وقد شـهد المؤرخ الروماني تاسيتوس في تاريخه المشهور بذلك • فعندما ساق القائد الروماني تيتوس جحافله لتدمير ثورة بني اسرائيل وهيكلهم عام ٧٠ ميلادية انضمت اليه جيوش كثيرة ، ثم قال تاسيتوس بالحرف الواحد :

« وكانت معه أيضا جماعة من العرب مروعون فى حد ذاتهم ، ويكنون لليهود تلك العـــداوة اللدودة التى توجد عادة بين الامم المتجاورة » ٠

أما سر هذه العداوة فترجع الى شراسة اليهود ووحشيتهم مع المهزومين وكثرة تمردهم حتى على ملوكهم ٠ وهنا يقول تاسيتوس ان اليهود ، بمجرد أن تواتيهم الفرصة للثورة على حكم روما ، كانوا ينصبون ملوكا عليهم دون استئذان روما ، « ولكن سرعان ما كانوا يخلعونهم بسبب نزق الشعب وطيشـــه ٠ وعنـــدما كان ملوكهم يستردون العرش بقوة السلاح ، كانوا يجدون الجرأة على نفى شعبهم وتدمير مدنهم واعدام اخوتهم وزوجاتهم وآبائهم » ٠

ان تاريخ اليهود كله يتراوح بين وحشية الترفع وقت القوة والتوحد ، والتقوقع المتآمر المشبوه المنـــافق فى أوقات التشتت والخنوع وراء اسوار الجيتو ٠٠ واذا لم يتقوقعوا ترفعوا واستبدوا٠ ومن منا لم يتوقع من اليهود الخانعين الذين ذاقوا الويل فى الجيتـــو الهتلرى ان يستبدوا ويحرقوا ٨٠٪ من ضحايا الجيش الاردنى على الخط الأمامى الاول بقنابل النابالم المحرقة ويحيلوهم الى تماثيـــل من الملح الاسود ؟ ٠

المؤلف

الفصل الأول

العبودية الجديدة

فى العقد الماضى كتب الدوس هكسلى أن الذين يسيطرون على وسائل الاعلام والنشر فى المجتمعات الرأسمالية هم الذين سيوجهون عقول ومصير شعوبهم •

تلك هى العبودية الحقيقية للقرن العشرين ••

« لن يجرؤ احد على مهاجمتنا »

وقد سبقت بروتوكولات حكماء صهيون هكسلى بنصف قرن فى التوصل الى هذه الحقيقة الاليمة والعمل على تطبيقها بالبدء فى السيطرة على وسائل الاعلام منذ عشرينات هذا القرن ، حتى تحول نفوذها الآن الى أخطبوط رهيب تتسلل اطرافه الى كل مكان حساس وصار بوسعها ان تفعل أى شىء (من البصق رسميا على قرارات الامم المتحدة الى استخدام سياسة الابادة العنصرية) وهى واثقة أنها قادرة على تبريره فيما بعد أو صرف الصحافة عن الاشارة اليه •

وأغرب من ذلك كله انها كثيرا ما تشترك مع أمريكا وغيرها فى مواقف عدائية للحركات التحررية ومع ذلك تدان امريكا وتنجو اسرائيل •

ولقد تنبأت البروتوكولات فعلا انه مع مرور الزمن سوف لا يستطيع أحد مهاجمة الصهيونية ، « لسبب بسيط وهو ان القانون

سوف لا يسمح الا بما نريده نحن .. ولن يجد من يهاجمنا بقلمه ناشرا واحدا ينشر له » .

هذا الاسلوب العلمي الجهنمي في الدعاية قد انتهى بكارثة أخرى فقد نجح في ايقاع المثقفين وكبار المفكرين في تناقضات عقائدية (ومنطقية) صارخة .

كنوز من الغفران :

اليك هذه العينات المذهلة :

١ ـ قال الكاتب اليهودي الشريف المعادي للصهيونية ماكسيم رودنسون : « ان المبادىء الانسانية العالمية التي تبدو وكأنها تلهم الاوروبيين لا تطبق ابدا على العرب . وقد يكون هذا أمرا مألوفا بالنسبة لليمينيين ، ولكن اليساريين أنفسهم كثيرا مايحذون حذوهم . فمن حيث المبدأ نجد أن اليساريين ضد الاستعمار والحروب الوقائية ، والعدوان ، والعنصرية . كما أن لديهم حساسية حول حقوق الاقليات واستغلال الدين .

ومع ذلك كله فان لديهم كنوزا من التسامح والمغفرة حيال تحكم المهاجرين في بلد أجنبي (وهو في حد ذاته نوع من الاستعمار) .

« كما انهم يلتمسون كل الأعذار لحملة السويس (العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦) ويتجاهلون مشكلة الاقلية العربية داخل اسرائيل ، ولايستنكرون مطلقا الطبيعةالعنصرية الصارخة للتشريع الاسرائيلي ، ويتغاضون في لؤم (ولكن بنجاح) عن تهديد اسرائيل واستغلالها الخطير لليهود والمتدينين » .

تناقضات مقبولة لديهم !

وذهبت الدعاية الصهيونية الى النجاح فى أكثر من ذلك ٠ وهذه عينات من الاتهامات التى تروجها (وصدقها الكثيرون) رغم تناقضها المنطقى الصارخ :

٢ ـ العرب رجعيون وشيوعيون اما كيف تتعاون الشيوعية مع الرجعية فهذا ما لم يفكر فيه أذكياء أوروبا قط ٠

٣ ـ القومية العربية عنصرية وفاشية ولا سامية . ولكن كيف يعقل ان يكون العرب نازيون اذا كانوا متهمين بالشيوعية مقدما ؟ ... وكيف حقق العرب معجزة التوفيق بين مذهبين بينهما أشد كراهية وعداوة عرفهما التاريخ العقائدى البشرى : مذهب يغرق فى الفاشية والعنصرية ، وآخر يحارب الفاشية والعنصرية ؟ ٠٠

٤ ـ رائد الوحدة العربية الحديثة عبد الناصر يستغل هذه الامنية القومية لدى العرب (بوصفه الزعيم العربى الاول) لوضع العالم العربى تحت حكمه ٠ ولكن كيف صار عبد الناصر الزعيم العربى الاول لولا أن جميع الشعوب العربية هى التى تفرض عليه رغبتها وأمانيها القومية فى تحقيق الوحدة من المحيط الى الخليج : وباختصار كيف يكون عبد الناصر طاغية ذا مطامع شخصية واسعة وله مثل هذه الشعبية الهائلة داخل الدول العربية التى يريد أن « يستعمرها » من لبنان الى اليمن وعدن ؟ ٠٠

واذا صح ذلك فما الذى يجعل رئيسا لجمهورية لبنان مثل شارل حلو ينهار ويبكى لدى سماعه نبأ استقالة عبد الناصر ؟

ثم ما الفرق بين حركات التوحيد العربية والامريكية والايطالية

فى القرن الماضى ســوى أن الحركتين الاخيرتين لم تحققا الوحدة أو حتى الاتحاد الا بعد حروب أهلية دموية ؟٠٠

عدم الانحياز خيانة !

٥ ــ مذهب عدم الانحياز (كما قال لى مثقف اسبانى) اتجاه انهزامى تتهرب به مصر وسائر الدول العربية من رسالتها المقدسة فى محاربة « الشيوعية الهدامة » ٠

وعندما قلت له ان الهند دولة لا منحازة مثلنا ومع ذلك بينها وبين الصين الشيوعية ما صنع الحداد ، فاجأنى بهذا الرد المذهل : « عدم الانحياز عندكم غير عدم الانحياز عند الهند ! ٠ »

منعت ضحكتى بصعوبة وقلت له : « طيب ما علينا ٠٠ كيف تهاجمون دول الحياد الايجابى بينما تلتمسون الاعذار لدول الحياد السلبى مثل سويسرا وفنلندا والنمسا ؟ يبــدو لى أن الجريمة فى نظركم ليست الحياد التام والتفرج على المعسكرين المتطاحنين ، بل العمل على حماية السلام وتخفيف التوتر العــــالمى كما هو هدف الدول اللامنحازة ! » ٠

الساميون لا ساميون !

٦ ــ العرب رواد الحركة اللاســـــامية ٠ كيف ذلك والعرب ساميون أصلا ؟ : بل ان اليهود أنفسهم عرب أصلا هاجروا من شبه الجزيرة العربية ٠ ويهود خيبر وبنى قضاعة واليمن عرب اقحاح ٠ والحبر اليهودى الذى علم الرسول محمدا صغيرا عربى قح٠ واليهودى الذى حذر عمر من نية أبى لؤلؤة المجوسى على قتله عربى قح أيضا ٠ ومن ينكر ذلك يعترف من حيث لا يدرى أن اليهود شعب وأمة وليسوا مجرد طائفة دينية ٠

٧ ــ الصهيونية خير والنازية شر • فالأولى رد فعل أخلاقى لمظالم الثانية • ولكن كيف يعقل أن تكون النازية التى تقوم على مبدأ التفرقة والتفوق عنصريا أسوأ من الصهيونية التى تقوم على مبدأ التفوق والتفرقة عنصريا ودينيا فى وقت واحد ؟ زد على ذلك جعل الدين أساسا للرعوية فى دولة اسرائيل • وهذه سابقة رهيبة لا وجود لها حتى داخل دولة الفاتيكان نفسها ! •

٨ ــ العرب يرفضون الصلح ويمثلون خطرا عسكريا دائما على اسرائيل • هذه الحجة شديدة الرواج فى الغرب رغم أن العرب لم يبدءوا حربا واحدة ضد اسرائيل منذ١٩٤٨ • والعجيب فى الموضوع أن اسرائيل نفسها هى التى أدينت ست مرات فى مجلس الامن و ٢٩ مرة فى الجمعية العمومية وأدانتها لجان الهدنة المشتركة زهاء ٦٧٢٧ مرة على الحدود الاردنية وحدها • وبينما لم يدن مجلس الامن أية دولة عربية مرة واحدة نرى أن اسرائيل قد أوشكت أن تستنفد عدد المخالفات التى تكفل طردها من مجلس الامن • ولكنها لن تطرد مهما فعلت على أية حال !•

أيهما الرئيس ؟

هل فى الامر اذن نوع من السحر يطلسم أذهان المثقفين والمتقدمين فى الغرب (والشرق أحيانا) ويوقعهم فى مثل هذه المغالطات العقائدية الفاحشة بمثل هذه البساطة البالغة وكأن ساحرا شل تفكيرهم ؟

ان بعض المثقفين العرب يرفضون التسليم بذلك ويرون ان فيه تهويلا للدعاية الصهيونية على أنها « الاسلوب العلمى السحرى الذى غلب اليهود به العرب فنالوا حظوة الامريكان وصداقتهم ، بحيث يدفعنا الى أن نعطف على هذه « الدولة الكبرى المسخرة لخدمة

الصهيونية » ، وعلى هذا الاساس يؤمنون آن من الأصح أن نقول : « ان الاستعمار هو الذى يوجه أدوات الاعلام ·· وليست الدعاية الصهيونية الا جزءا من الدعاية الاستعمارية ·· ويسهل بعد ذلك أن نفهم لماذا يستولى الصهيونيون على وظائف دعائيـــة فى أمريكا بشكل خاص » ·

والحق أنه قد يكون الاستعمار هو الذى يسيطر على الصهيونية فى بعض المجالات ولكن وسائل الاعلام ليست منها قطعا · ودليل ذلك :

١ ـ ان الدول الاستعمارية ـ كمـا ذكرنا ـ تشـــترك مع اسرائيل فى مواقف اجرامية معينة ومع ذلك تدان هذه الدول وتنجو اسرائيل بفضل سيطرتها على وسائل الاعلام ··

٢ ـ ان بعض الدول الاشتراكية تعطف على اسرائيل رغم كل جرائمها وتنجح الدعاية الصيونية فى التسلل الى الوســـائل الاعلامية لهذه الدول ·

٣ ـ ان الدعاية الصهيونية كثيرا ما تعمل ضد المصالح الذاتية والسياسية للدول الاستعمارية نفسها وخاصة فى الشرق الاوسط ·

٤ ـ بذل الصهيونيون محاولات وحشية فى بداية هذا القرن للسيطرة على أهم الصحف الامريكية وقبل أن تكون لأمريكا أية مصالح استعمارية فى العالم العربى ·

ومعنى هذا ان الاستعمار ليس هو الذى وضع الصهيونيين فى أهم الوظائف الدعائية فى أمريكا وغيرها ·

هل علاقة الدعاية الصهيونية بالاستعمار اذن هى علاقة التابع أم المتبوع أم الشريك ؟ الأصح أن نقول ان علاقتهـــا به هى علاقة

الشريك الأكبر ، صاحب الحصة الكبرى فى رأس المال ، ولهذا يقوم بمنصب المدير الذى يعمل لصالح المؤسسة ولكنه قد يستغلهـــا لصالحه الشخصى وعلى حساب مصلحة شريكه اذا اقتضى الأمر •

الاستعمار الصهيونى ــ كما قال الرئيس عبـــد الناصر ــ « استعمار مستقل قائم بذاته » ، ولكنه يستغل انتصارات الاستعمار العـالمى ــ وحتى أخطاءه ــ الى أقصى حد ، ويستفيد من امكانيـاته ووســائله الاعلامية كثـيرا ودون تكافؤ ، بحيث يبـدو وكأنه يكاد يسيطر عليها فعلا ••

وهذه هى النتيجة

لقد ضحكت اسرائيل على الامم المتحدة فى مؤتمر لوزان حتى اعترفت بها عضوا ، لكى تتنكر لقراراتها وتعهداتها باعادة اللاجئين بعد أيام قلائل ، وقتلت الكونت فولك برنادوت السويدى وسيط الامم المتحدة عمدا وعن سبق اصرار وتسترت على من قاموا بالاغتيال، وكانت أوقح دولة فى المجاهرة باستخفافها بقرارات هذه المنظمة العالمية خلال عشرين عاما ، وأدينت فى مجلس الامن ومن لجان الهدنة المشتركة أكثر من أية دولة من الدول الاعضاء فى الامم المتحدة بفارق كبير ، وهاجمت مصر بغتة وبلا مقدمات عام ١٩٥٦ ، وقاومت ثورات الجزائر وكوبا واليمن والكونجو ، وصوتت فى الأمم المتحدة ضـد استقلال الكاميرون والصومال وقبرص وأرسلت أسلحة الى البرتغال وجنوب افريقيا رغم قرارات الأمم المتحدة بمقاطعتهما ، وخطفت العلماء الألمان أو قتلتهم بالطرود المتفجرة وشردت نيفا ومليونامن عرب فلسطين ، ومارست من أنواع التفرقة العنصرية والدينية مالم تعرفه محاكم التفتيش فى القرون الوسطى وحكومة فيرفورد فى جنوب افريقيا ، ونزعت الجنسية الاسرائيلية عن الذين تحولوا عن

الديانة اليهودية ، وبهذا أصبحت أول دولة فى العالم الحديث تقوم علـــى الدين وتمنع دفن الزوجة اليهودية بجانب زوجها غـــير اليهودى .

لا تعجب اذا عرفت أن اسرائيل تفعل كل هذا ومع ذلك تتمتع بشعبية غريبة فى الغرب وبعض الدول الاشتراكية والأفريقية.

انها الطفل المدلل الذى تغفر كل أخطائه رغم أنه بلغ من العمر ١٩ عاما ومع ذلك لا يزال يرضع دما ..

هنا تبرز لنا صحة نظرية هكسلى بكل بشاعتها .

الفصل الثانى

« اكذب واكذب حتى تصدق نفسك »

يخطىء الكثيرون فى الظن أن معظم الصحف ووسائل الاعلام والنشر التى تدافع بحماس عن اسرائيل والصهيونية مأجورة حقا ٠

ربما كان هذا صحيحا فى الماضى عندما كانت الصهيـــونية العالمية فى عشرينيات وثلاثينيات هذا القرن تتبع أساليب رهيبة فى تدمير أو شراء الصحف المعارضة أو حتى المحـايدة أو توجيه ما ينشر ، خصوصا باستخدام سلاح الاعلانات الذى تخر أمامه كل الصحف والاذاعات ودور النشر راكعة ذليلة ٠٠

تعاطف التضليل :

ولكن كثرة ما كتبته الصحف ووسائل الاعلام المأجورة فى الماضى فضلا عن المقالات البريئة التى استنكرت اضطهاد اليهـود ابان الحكم الهتلرى ، قد خلق جيلا جديدا من القراء يتعاطف تعاطفا مخلصا عميقا مع الصهيونية ٠ وقد عمق من هذا احساس ظهور اسرائيل بوصفها رمزا للمبادىء الصهيونية ٠ وقد اعترف جون كيمش الكاتب الصهيونى بان قضيتهم ظلت فترة طويلة محدودة التأييد والشعبية وشبه مقصورة على المستوى الرسمى ، الى أن ظهرت اسرائيل كرمز للتقدم والحضارة الغربية فأصبحت تجـد آلافا من الاقـلام ووسائل الاعـلام التى تتطوع لتمجيـد اسرائيل وأنصارها دون أجر ٠

وشيئا فشيئا بدأ الجيل اليهودى الاكبر الذى ابتدع اسطورة أرض الميعاد وساعد النازية فعلا على قتل اليهود ليتحـولوا الى شهداء (كما أوضح ذلك الكاتب اليهودى الفريد ليلنتـــال) بدأ هذا الجيل يصدق كذبته بعد أن أصبح الناس يصدقون خطوطها الرئيسية : أن اليهودية عرق وثقافة متجانســة وليست مجرد دين ، وان أبناء فلسطين قد غادروها من تلقاء أنفسهم لا بسبب الارهاب واسلوب حدوة الحصان الذى تحدث عنه موشى ديان ، وانه ليس هناك لاجىء واحـد يفكر فى العـودة ، وان الدول العربية تتاجر بقضية اللاجئـين وتتخذ منهم رهائن فى معركـة المزايدة السـياسية بين الحكومات العربية المتناحرة وان هـذه الحكومات تضطهد جميع اليهود المقيمين فيها وتحارب اسرائيل خوفا من أن توقظ حضارتها الشعوب العربية النائمة فتثور وتقوم بالانقلابات، وان جميع اعتداءات الحدود يقوم بها العرب (رغم أنف احصائيات لجان الهدنة المشتركة ومجلس الأمن والعـــدوان الثلاثى القديم والجديد .. !)

نتيجة لكل هذه الدعاية المجانية لا تعجب أبدا اذا عرفت أن كثيرين من أبناء السويد ـ كما ذكر لى طالب عربى هناك ـ يعتقدون أن العرب هم الذين اغتالوا وسيط الامم المتحدة السويدى الكونت فولك برنادوت !

مصيدة علم النفس الصهيونى

وماذا عن الجيل الصهيونى الأصغر ؟

ان الذى يعيش منهم سواء خارج اسرائيل أو داخلها لا يعرف حقيقة الكذبة ، لأن اسرائيل « كأمر واقع » تحـــول دون تصـــور العكس ، وبكلمة أخرى ان قيام اسرائيل يؤكد صحة نظرية الحق التاريخى لليهود فى فلسطين وليس العكس .

وربما كانت ألمانيا الغربية خير مثال على ذلك ، فقد لاحظت أن جيل ماقبل الحرب يتوجس رعبا من السيطرة اليهودية على السياسة الألمانية ومن سيف اللاسامية الذى تسلطه الصهيونية على كل موظف عاش حكم الرايخ الثالث ، ومعظم القرارات التى يتخذها البندستاج الالمانى لصالح اسرائيل ، من تعويضات وتجديد مهزلة محاكمة مجرمى الحرب ، تتم تحت سلاح التهديد بالصاق تهمة اللاسامية بمستندات ووثائق زائفة أو غير زائفة • والصهيونيون يملكون الكثير منها ضد هذا الجيل الذى يعرف وحده هول أساليب الصهيونية ومبادئها •

أما الجيل الألمانى الجديد فانه يكاد يقدس الصهيونية واسرائيل وخاصة عندما يرى الجيل الاكبر يضرب له قدوة فى تأييد دعوة تجديد التعويضات ومهلة محاكمة مجرمى النازية •

وقد يغفرون لك هجومك على ألمانيا نفسها ولكنهم لا يغفرون لك قط هجومك على اسرائيل ، لأنهم يجدون فى موقفهم هذا نوعا من البطولة الانسانية والتفاخر بالتسامح الدينى مع اليهودية ، والتعالى على تقاليد الأجداد والتنفيس عن عقدة الذنب ، دون أن يعلموا أنهم وقعوا فى المصيدة التى نصبها لهم علم النفس الصهيونى •

وقد أشار توينبى الى أنه أحس بالرعب حين ألقى ذات يوم محاضرة فى عاصمة أوربية « لم يشأ ذكرها » ودافع فيها عن حق عرب فلسطين فى العودة فوجد جمهور المثقفين ينفجرون ضحكا ويصفرون استنكارا لموقفه اللا انسانى !!

ولقد رأى توينبى فى ذلك ـ كما يقول = دليلا خطيرا على انهيار الضمير الغربى •

استحالة الاندماج الثقافي

كثير منا يقول ان اسرائيـــل يجب أن تنتهي في هذا الجيل « **قبل أن تحكم الصهيونية سيطرتها ونفوذها الاعلامي على سائر دول العـالم** » والا فلن تنتهي اطلاقا · وحجتهم في ذلك أن الجيل الجديد الذي ولد خارج فلسطين قد لا يتعرف عليها ، وان الجيل الاسرائيلي الأول قد بلغ سن الشـــباب وينظر الى الارض المحتلة كوطن حقيقي ، أي كأرض للذكريات · والوطن كما قال أوسكار وايلد هو حيث يعيش المرء سعيدا · وفي هذا مكمن الخطورة ·

معظم هذا صحيح ، ولكن هناك بعض التحفظات :

١ ــ ان قضية فلسطين قد تطورت بحيث انضافت اليهــا قضية اسرائيل نفسها · أي أن المسألة لم تعد مجرد قضية لاجئين بل قضية توسع استعماري كفيلة بتحـويل كل الشعوب العربية الأخرى الى لاجئين !

٢ ــ أن ارتباط اسرائيل بالامبريالية والاستعمار الغربي قد سهل على أبناء العالم العربي مهمة تغـــذية حقدهم المستمر على دولة النصب ·

٣ ــ ان انعزال الثقافة الاسرائيلية عن ثقافة الشرق قد جعل تأثيرها الثقافي على « شعوب » الشرق الأوسط شبه معدوم .

٤ ــ ان التوفيق بين الوحـدة العـــربية المحتومة والقومية الاسرائيلية المزعومة أمر مســتحيل للتعارض الجـذري بينهمـا جغرافيا وثقافيا وعقائديا .

لا سبيل الى النسيان :

معنى هذا أن المسألة أعمق من أن تكون مجرد قضية جيل وجيل آخر • وهذا من حسن حظ عرب فلسطين الذين لا ينسون بسهولة لعدة أسباب أهمها :

* انهم أبناء مجتمع زراعي وارتباطهم بالارض والأسرة مكين عميق الأغوار • وقد ساعدت قلة المجتمعات الصناعية في البلدان المضيفة على الحفاظ على روابط الأسرة ومكانتها رغم تشتت أفرادها وعلى الاعتزاز بالارض كملتقى عائلي •

* عرب فلسطين لا ينسون الاساءة بسهولة ، فضلا عن أنهم ـ كما قال أحد كبار شيوخهم ـ أصعب خلق الله شموسا ومراسا

* الحدود والمسافات قريبة تذكرك بالمأساة كل يوم •• تنظر من جبال رام الله فترى البحر المتوسط في الأفق • وفي بيت صفافا ترى أعجب جنازة في التاريخ : المشيعون يسيرون في نظام على جانبي سياج الحدود ، نصفهم داخل الارض المحتلة والنصف الآخر داخل الاردن • أما الذين يرون أراضيهم ومساكنهم بالعين المجردة من وراء خط الهدنة فهم يفوقون الحصر •

ليونورا ستراداالوفا صحفية تقدمية أمريكيةجاءت الى القاهرة لحضور ندوة فلسطين العالمية التي أقامها اتحاد طلاب فلسطين في نهاية مارس عام ١٩٦٥ • وقد ذهلت حين رأت شباب فلسطين ينشدون أهازيج الحماس والحنين والثأر في اليوم الأخير من الندوة وقالت لي « **لم أر في حياتي كلها شعبا استطاع أن يحتفظ بوحدته وولائه القومي وعواطفه الوطنية الثائرة اللاهبة طوال ١٧ عاما ، وكان مأساة عام ١٩٤٨ كانت بالأمس • تلك هي المعجزة الحقيقية لشعبكم** » •

وبينما كانت تصفق على ايقاع هتاف شباب فلسطين كانت عيناها تفيضان بدموع التأثر العميق ٠

***

ان الصهيونيين يقولون ان دولة اسرائيل قد صنعت تاريخا. ولكنها نسيت ـ لحسن الحظ ـ أنها تسبح ضد تيار التاريخ نفسه. فهي تحاول في عصر الامم المتحدة وسباق الفضاء والاطباق الطائرة أن تبعث عنصرية الدين ، أســـوأ النظريات العنصرية رجعية على الاطلاق ، وتعتمد على تأييد الاستعمار الغـــربي وتعزيز أقدامه في الشرق الأوسط ، في الوقت الذى تجتاح فيه الثورات القومية أرجاء العالم كله ٠

لا جدال ولا تهويل اذن حين نقول ان نهاية اسرائيل ستكون تعيسة جدا ، وان المؤرخين في المستقبل لن يجدوا لها أفضل من هذا التعريف : نزوة أجيد تبريرها ، وجريمة أحكم تدبيرها ٠

الفصل الثالث

سنشترى أكبر عدد من الدوريات

فى عام ١٩٥٨ قابلت صحفيا ومصورا أمريكيين خلال زيارتهما للقاهرة • وعندما رحنا نتناقش فى النفوذ الدعائى الصهيونى هناك •• قال أحدهما فى قرف ظاهر : « ان الأسلوب الدرامى المسرحى للدعاية الصهيونية فى استدرار عواطفنا يسقمنى ! »

فكرت طويلا فى هذه الكلمة قبل أن أدرك انها لم تكن مجرد مجاملة لعربى ، فالصحفى يدرك أسرار الصحافة الامريكية وسائر وسائل الاعلام ويعرف ارتباطها العميق بوكالات الاعلان وشركات العلاقات العامة وبيوت المال • أما الجمهور فلا يستطيع اكتشاف الأمر ولهذا يصدق مايقال طبعا • ولكن الصهيونية الدولية التى تتبع طريقة جيمس بوند فى استخدام أحدث ما توصل اليه العلم فى فنون الجريمة ، تدرك تماما ان هذا الأسلوب المسرحى العاطفى الذى يسقم بعض المثقفين يجدى مع معظمهم ، وطبعا مع سواد الشعب الامريكى أيضا بسبب انعدام الرأى العام الامريكى •

أسس الدعاية الصهيونية

ولكن على أى أساس يقوم هذا الأسلوب المسرحى ، وبكلمة أخرى ما هى الاستراتيجية العامة للخط الدعائى الصهيونى ؟

ان النظرة العامة تدل على انها تقوم على خمس ركائز رئيسية :

١ ـ استدار العطف على حق اليهود التاريخى فى أرض الميعاد وعلى أن اليهود شعب متجانس وليس مجرد دين ، بقصد تشجيع الهجرة أو التبرع لاسرائيل والمساهمة فى تمويلها .

٢ ـ تأكيد دور اسرائيل فى الشرق الأوسط كرمز للتقدم والشجاعة وكمعقل للديموقراطية والثقافة الغربية مع التأكيد على فضل الفكر اليهودى على الحضارة الانسانية عامة .

٣ ـ تغذية الشعور بالذنب بين الرأى العام العالمى كأساس سيكولوجى من شأنه تدعيم اسرائيل مادية ومعنويا ، وتسليط سيف الاتهام باللا سامية فوق رأس كل مناهض للصهيونية .

٤ ـ تأكيد القرابة الروحية بين المسيحية واليهودية .

٥ ـ ابراز مثالب العرب ومسئوليتهم الكاملة عن ضياع فلسطين .

هذه هى الخطوط العامة : الأربعة الأولى منها موجبة ، والخامسة سالبة .. وكلها تعتمد فى الترويج اما على الضغط والتهديد أو على الأنصار والمعجبين باليهود ـ كالمثقفين والسياح وغيرهم من المضللين الذين يجهلون « ان اسرائيل ليست كما تبدو » كما قال كاتب يهودى .

حق اليهود التاريخى

وقد كتب الكثير عن النقطة الأولى وهى مدى حق اليهود التاريخى فى أرض الميعاد المزعومة ومدى تجانسهم كشعب . ولذلك لا يحتاج هذا الى تفنيد . ومع ذلك فان اسرائيل لا تكف عن اغراق سوق الأدب والسينما بروايات وكتب وأفلام تاريخية تعزز حجتها التاريخية مثل فيلم « سليمان وملكة سبأ » الذى كان لا يخلو منظر

فيه من نجمة اسرائيلية بطريقة لحوحة مملة وكأنها كابوس يلاحقك فى كل مكان تنظر اليه ، فقد كنت تراها على درع سليمان وجنوده وعلى واجهات المبانى والخيام وحتى خلال الطريق ٠

وكل هذا يوحى للذهن بأن اسرائيل ـ كما تلوح من نجمتها ـ دولة متصلة عمرها أكثر من ألفى عام ، وقد لاحظ الشاعر صلاح عبد الصبور خلال جولته فى أمريكا أن معظم المثقفين فى أمريكا يعتقدون ذلك فعلا ٠

ومن أهم الروايات التاريخية الصهيونية الناجحة التى تحولت الى أفلام نجد « بن هور » و « يوميات آن فرانك » التى نالت عليها شيللى ونترز جائزة الأوسكار ، وفيلم « الخروج » الذى كتبه ليون يوريس ووزع منه أربعة ملايين نسخة (رغم مغالطاته المضحكة الكثيرة وتزييفه المقذع للتاريخ) بفضل الأسلوب الروائى المحكم الذى كتبت به القصة ، ومع ذلك فيشاء التاريخ أن تأتى كلمة الحق فى مقال نقدى جارح نشرته مجلة متخصصة أمريكية اسمها « فيلم كوارترلى » ولم تكتف فيه بالقول بأنه « فيلم دعائى ساذج » بل فعلت أوقع من ذلك : لقد نشرت الصورة الحقيقية للباخرة « اكسودس » التى يدور حولها موضوع الفيلم والى جانبها صورة الباخرة كما ظهرت فى الفيلم نفسه ، وكانت عملية المقارنة فضيحة دعائية ٠٠ فقد أظهرت الصورة الأصلية أن كل الأعمال البطولية التى قام بها المتسللون اليهود على الباخرة المحتجزة فى ميناء حيفا أمام الجماهير اليهودية الغاضبة الزاحفة على الميناء والتى لم تظهر قط فى الصورة الأصلية كانت عملية اختلاق درامى محض ،

البروتوكول الرهيب والدعاية :

وقبل أن نتعرض للنقاط الأربع الباقية التى تقوم عليها استراتيجية الدعاية الصهيونية ، يجدر بنا أن نلتفت قليلا لنحلل السياسة العامة للصهيونية الدولية فى السيطرة على وسائل الاعلام من خلال البروتوكول الثانى عشر من «بروتوكولات حكماء صهيون» .. ذلك الكتاب الرهيب الذى يكشف عن العبقرية الاجرامية للعقل الصهيونى والذى حقق نبوءة الرئيس الامريكى بنيامين فرانكلين فى خطاب ألقاه عام ١٧٨٩ خلال انعقاد مؤتمر اعلان دستور الولايات المتحدة وقال فيه :

« اذا لم يستثن اليهود من الهجرة بموجب الدستور ، فلن تمضى مائتا عام حتى يتدفقوا على هذه البلاد بأعداد ضخمة ويحكموننا ويدمروننا ويغيرون نظام الحكم الذى ضحينا وبذلنا لاقامته دماءنا وحياتنا وحريتنا الفردية .. ولن تمضى مائتا عام حتى يصبح أبناؤنا عمالا فى الحقول لتأمين الغذاء لليهود الذين يجلسون فى مؤسساتهم المالية وهم يفركون أيديهم غبطة وابتهاجا» .

لم ينتظر اليهود مائتى عام طبعا .. ففى عام ١٨٩٧ أى بعد ١٠٨ أعوام من نبوءة هذا المخترع العبقرى الامريكى ، جلس ثلثمائة شيخ من أعتى شيوخ صهيون يمثلون خمسين جمعية يهودية حول مائدة فى مدينة بازل خلال انعقاد المؤتمر الصهيونى العالمى الأول ، وراحوا يتدارسون خطتهم فى استعباد العالم تحت حكم ملك من نسل داود .

من هناك خرج البروتوكول الثانى عشر من البروتوكولات الذى يعجز الشيطان نفسه عن تقليد خطته فى السيطرة على العقل البشرى :

سنهاجم أنفسنا :

* « الادب والصحافة اعظم قوتين تعليميتين خطيرتين ، ولهذا علينا أن نشتري أكبر عدد من الدوريات بحيث نعطل التأثير السيىء لأى صحيفة مستقلة ونظفر بسلطان ضخم على العقل البشرى . فاذا رخصنا مثلا بعشر صحف عملنا على أن يكون لنا ثلاثون . ويجب الا يرتاب الشعب اقل ريبة فى هذه الاجراءات ولذلك فان الدوريات التى ننشرها ستظهر وكانها معارضة لوجهات نظرنا وآرائنا بحيث توحى بالثقة الى القراء وتعرض صورة جذابة لاعدائنا الذين لا يرتابون فيما فعلنا ، وهكذا يقعون فى شراكنا مجردين من كل قوة .

« سنسرج الصحافة ونقودها بلجم حازمة ، وسيكون علينا ايضا ان نظفر بادارة شركات النشر الاخرى ، اذ لن ينفعنا ان نهيمن على الصحافة الدورية بينما نتعرض لهجمات النشرات والكتب والكتيبات .

* « ستكون بين النشرات التى تهاجمنا نشرات نصدرها نحن خصيصا لهذا الغرض ، ولكنها لن تهاجم سوى النقاط التى نعتزم تغييرها فى سياستنا .

* « لن يصل طرف من خبر الى المجتمع من غير أن يمر على ارادتنا .. وهذا ماتوصلنا اليه فى الوقت الحاضر فعلا .. فالأخبار تتسلمها وكالات أنباء قليلة تتركز فيها الأخبار من كل أنحاء العالم . وحينما نتقلد السلطة تنضم جميع هذه الوكالات الينا ، ولن تنشر الا الاخبار التى نسمح بها .

* « ان كون المؤلفين مسئولين امام القانون سيضعهم فى قبضتنا ، لسبب بسيط وهو أن القانون لن يسمح الا بما نريده نحن .. ولن يجد من يهاجمنا بقلمه ناشرا واحدا ينشر له .

* « بالدرجة الأولى سنطبع الصحافة الرسمية وستكون دائما يقظة للدفاع عن مصالحنا ·· ولذلك سيكون نفوذها على الشعب ضعيفا نسبيا ، وفى الدرجة الثانية سنضع الصحافة شبه الرسمية التى سيكون عليها استمالة غير المهتمين والمعتزلين وفاترى الحماس ·· وفى الدرجة الثالثة سنخلق الصحافة التى تتضمن معارضتنا وتظهر فى احد اعدادها مخاصمة لنا وسيتخذ اعداؤنا الحقيقيون من هذه المعارضة معتمدا لهم ·· وبذلك يدعوننا نكشف أوراقهم ·

* « ستكون لنا جرائد شتى تؤيد مختلف الطوائف من ارستقراطية وجمهورية وثورية بل وفوضوية ايضا ·· وسيكون ذلك طالما كانت الدساتير قائمة بالضرورة ، وستكون هذه الجرائد مثل الالهة الهندية « فشنو » ، لها مئات الأيدى ، وكل يد تجس نبض الرأى العام المتقلب ·

* « متى تسارع النبض جذبنا الرأى العام نحو مقصدنا ، وحين يتوهم الثرثارون انهم يرددون رأى جريدتهم الحزبية يكونون فى الواقع يرددون رأينا الخاص ·· ولكى يستطيع جيشنا الصحفى أن ينفذ هذا البرنامج للظفر بتأييد الطوائف المختلفة ، يجب علينا ان ننظم صحافتنا بعناية فائقة ··

* « سيكون كل اعضاء الصحافة مرتبطين باسرار مهنية متبادلة على غرار أسلوب النبوءات القديمة ، ولن يفشى عضو واحد معرفته بالسر لان مثل هذا السر غير مأمون بتعميمه ·· ولن تكون لناشر بمفرده الشجاعة على افشاء السر الذى عهد به اليه ، والسبب انه لن يؤذن لأى منهم بدخول عالم الادب ما لم تكن فى حياته الماضية وصمات بعض الاعمال المشينة الفاضحة · وما عليه الا ان يظهر ادنى علامات العصيان حتى يكشف الستار فورا عن وصماته المخزية · وعندما تكون هذه الوصمات معروفة لعدد قليل من الناس

تتكفل كرامة الصحفيين بتحويل انظار الرأى العام اليه فى جميع البلاد وسينقاد لهم الناس ويعجبون بهم ٠

※ « سنحاول ان نوجه عقل الشـعب نحو جميع النظريات المبهرجة التى يمكن ان تبدو تقـدمية او تحـررية ٠

※ « والى ان يأتى الوقت الذى نصل فيه الى السلطة سنحاول ان ننشىء ونضاعف خلايا الماسونية فى جميع انحـاء العـالم ٠٠٠ وسنجذب اليهـا كل من يصبـر او من يكون معـروفا بنشـاطاته واهتماماته العامة » ٠

المكارثية الجديدة فى أمريكا

بعد نصف قرن فقط من ظهور البروتوكول الرهيب مع نظرائه الآخرين ، اصبح نشر اى شىء يمس اليهود اشبه بالمحرمات ، لا فى الغرب وحده بل فى بعض الدول الشـيوعية وخاصـة بولنـدا ورومانيا ٠ وكما قال عباس محمود العقاد « لم يترجم كتاب عربى قط لكاتب تناول الصهيونية بما يغضبها فى وقت من الاوقات » ٠٠ بل ان الرئيس عبد الناصر قد امتنع فترة من الزمان عن الادلاء بأى حديث لمراسلى بعض الصحف الامريكيـة وخاصـة لمنـدوب مجلة (نيوزويك) بعد ان لاحظ انها تتصرف باحاديثه من تحوير وحذف بل وتجاهل احيانا ٠

واذا اردنا ان نعرف مدى فظاعة المكارثية الاعلامية الصهيونية لوجدنا خير مثال لها فى امريكا ٠٠

※ منـذ قرنين من الزمان كانت معظم الصحف الامريكيـة يهودية التمـويل ٠٠ واليوم اصبحت لديهم ٢٢٠ صحيفة يوميـة

ودورية تمثل ٣٦٪ من مجموع صحف القارة الامريكيــة ووكالات الانباء فيها ، وبعض هذه الصحف يصدر بالعربية للملايين الستة من اليهود فى امريكا والذين يتركز نصفهم فى نيويورك وحدها ٠

* اجريت دراسة تحليلية على ٦٠ صحيفة امريكية فظهر ان ٣٧ منها تنشر يوميا ثلاثة اعمدة على الاقل عناسرائيل والصهيونية، الى جانب ثمانية صحف كانت تنشر اقتراحات باعمال غير قانونية لصالح الصهيونية ٠٠

* دفع المجلس الصــهيونى الامريكى عام ١٩٦٢ ما مجموعه ٧١٢ الف دولار للصرف على هدايا ومكافآت للصحفيين الامريكيين ودور النشر والصحف وثمنا لمقالات تعدها المنظمة الصهيونية على ان تنشر بتوقيع بعض الكتاب والصحفيين المعروفين فى امريكا ٠

* يدفع المجلس مبلغ ٤٨ الف دولار ســـنويا الى معهـد « المجلس المستقل لدراسة شئون الشرق الاوسط ثمنا لنشر دعاية صهيونية واسرائيلية بين طلبة المعاهد الامريكية عن طريق دسها فى المناهج الدراسية المقررة عليهم ٠٠

* دفع المجلس عام ١٩٦٢ وحــده ٣٨ الف دولار لناشرين من اجل طبع وتوزيع كتب دعائية مباشرة لاسرائيل وقد اثبت تقرير لجنة مختصــة لمجلس الشــيوخ الامريكى ان خطورة هذه المطبوعات تكمن فى ان احدا لم يشك فيها على اساس انها دراسات علميــة موضوعية غير دعائية ٠

فى أوربا :

لليهود فى أوربا سبع وكالات للأنبــاء وما لا يقـل عن ١١٤ صحيفة دورية ، منها ٣ صحف يومية وجريدة شبه يومية ، و ١٤ جريدة أسبوعية ، والجــزء الأكبر من الباقى يتراوح بين انصــاف

الشــهريات والشــهريات • وهذا لا يعنى مطلقــا أن الفصليــات والسنويات الدورية قليلة • وهناك صحف أخرى ثانوية فى بلاد محايدة أو غير محايدة •

ومن الملاحظ أن جميع وكالات الأنباء اليهودية (وهى سبع) و ٧٩من هذه الصحف (أى أكثر من الثلثين) موجودة فى انجلترا وفرنسا • أما ألمانيا وايطاليا وسائر دول غرب أوروبا فأقل منها بفارق كبير ، بل ان النمسا تفوق كلا من المانيا وايطاليا فى عدد الصحف اليهــودية ، وربمــا كان لمركزها كنقطة تجمع تقليــدية للمهاجرين اليهود الى اسرائيل دخل فى ذلك • كما يلاحظ أن الدول الاشتراكية فى أوربا الوسطى لديها سبع صحف يهودية نصفها فى بولندا وحدها •

وهذا هو توزيع الصحف ووكالات الانباء فى دول أوروبا :

* فى بريطانيا ٥ وكالات أنباء (منها جويش كرونيكل نيوز) و ٦ صحف أسبوعية (منها الجويش أوبزرفو والجويش كرونيكل) و ٣ نصف شهرية و ١١ شهرية و ٦ كل شهرين و ٩ فصليات ، و ٥ دوريات و ٥ سنويات • أى ان مجموع الصحف وحدها ٤٥ •

* فى فرنسا وكالتان للأنباء وثلاث صحف يومية، وصحيفتان أســبوعيتان وست صحف نصف شــهرية و ١٥ شــهرية ، و ٦ فصليات ، وصحيفتان غير منتظمتين منهما « لاسومين جويف » • أى أن مجموع الصحف وحدها يبلغ ٣٤ •

* فى ألمانيا خمس صحف منها أسبوعيتان وصحيفة تصدر ٣ مرات فى الشهر ، وشهريتان أهمها « يوديش جماينتبلات » •

* فى ايطاليــا ست صحف منهــا صحيفة نصف شــهرية وأسبوعيتان و ٣ شهريات •

* في النمسا ٧ صحف شهرية منها « ديموكراتشر بوند »
* في بلجيكا صحيفة نصف شهرية (تريبيون زيونيست) وشهريتان .
* في ارلندا اثنتان ، واحدة شهرية (ذى جويش ليدر) وأخرى سنوية .
* في النرويج واحدة شهرية ، وفى الدانيمارك شهريتان منهما « اسرائيل » .
* فى هولندا صحيفة أسبوعية هى « نيو اسرائيلتس ويكبلاد » .
* فى اليونان صحيفة نصف شهرية « جويش هوم » .

أما اوروبا الاشتراكية ففيها سبع صحف موزعة كالتالى :

* أربع فى بولندا ، منها صحيفة تصدر أربع مرات أسبوعيا (فلكس سزتيم) وشهرية واحدة وفصليتان .
* واحدة فى تشيكوسلوفاكيا تصدر شهريا (فستنك) .
* واحدة شهرية فى المجر (أوج ألت) .
* واحدة فى بلغاريا وهى شهرية (الفريفرسكى فستى) .

وغنى عن الذكر ان الصحف والاذاعات غير اليهودية التى تسيطر عليها الصهيونية أكثر من ذلك بكثير جدا .

الايحاء لا الاقناع

الجديد فى الموضوع اذن هو أن الاعلام الصهيونى قد تسلل الى بعض الدول الاشتراكية . ففى يوغوسلافيا مثلا نجد الصحف الرسمية وشبه الرسمية تلتزمان جانب العرب فى الوقت الذى

تتحدث فيه صحف أخرى (غير يهودية) عن منجزات اسرائيل وديمقراطيتها وتحويلها صحراء النقب الى جنة ٠

وهكذا يصبح هذا التضارب بين سياسة الدولة وسياسة الصحف فى دولة اشتراكية موجهة امرا فريدا من نوعه فى التاريخ الاشتراكى ٠٠

والسر فى ذلك ان ابرز خصائص الخط الدعائى الصهيونى اعتماده على الايحاء والتذكير ثم التثبيت لاعلى الاقناع ٠ وهى نفس الوظيفة التى تقوم بها الملصقات (الافيشات) فى فن الاعلان من حيث اعتمادها على الصورة اكثر من الكلمة : رسم جذاب مع كلمات محدودة قليلة ٠٠ حتى هذه الكلمات القليلة لا تهدف الى الاقناع بقدر ما تهدف الى الايحاء ٠

ومن هنا فان اخطر ما فى الدعاية الصهيونية لا يكمن فى انها تجعل المرء يفكر بعواطفه ويجعل من منطق العواطف موقفا فكريا له فحسب بل انها تفعل أسوأ من ذلك كله : انها تجعل المرء يتعاطف عميقا مع ما يؤمن بأنه سيىء وغير انسانى ، تماما مثل شاب ريفى يقع فى غرام عاهرة ولا يستطيع التخلص من سحرها مهما كانت سيئة السمعة ٠٠

وكل المثقفين يعرفون مثلا انه لا يمكن ان تقوم دولة على اساس دينى ومع ذلك لا يطبقون ذلك على اسرائيل ٠ ويعرفون ان اسرائيل صنم من صنع الامبريالية العالمية ومع ذلك يستثنونها من القائمة السوداء ٠٠ حتى السويديون الذين يعرفون ان العصابات الارهابية اليهودية هى التى قتلت برنادوت عن عمد بالتواطؤ مع الوكالة اليهودية يتعاطفون مع اسرائيل عميقا ٠٠ وحتى الالمان الذين يضيقون بالمساعدات الالمانية لليهود بسبب « ضخامتها وشذوذها » يتعاطفون مع اسرائيل بفضل صورها الدرامية المؤثرة فى ايحائها :

معسكرات الاعتقال فى اوشـفتز التى ابيد فيها كثير من اليهود ، ومزارع فى النقب يحرث الصحراء لاول مرة فى التاريخ ، وعازف بيانو ذو اسم يهودى صارخ فى حفلة سـمفونية تافهـة ومع ذلك تتهافت كل محطات التليفزيون والراديو على نقلها ٠

كل هذه الصور ــ من دون اقناع ــ توحى للساذج من حيث لا يدرى ان اليهود شعب يستحق البقاء ، حتى ولو كان على حساب بقاء الآخرين احيانا ٠٠

التقوقع العقائدى

والصهيونية العالمية لهذا السبب تركز كل نغماتها على التقدم لا على الاخلاق ٠ فهى نادرا ما تمس القضايا الاخلاقية ذات الشمول كالتفرقة العنصرية وحق تقرير المصير ومكافحة الاستعمار ــ لانها ذات طابع ايديولوجى عميق ٠ واذا حدث ان تناولتها فانما تتناولها من حيث وضعها الخاص ومصالحها الذاتية وحدها . فاذا تحدثت عن التفرقة العنصرية لم تتكلم عن جنوب افريقيا أو أمريكا وانما عن اللاسامية فقط ٠٠ واذا تحدثت عن حق تقرير المصير فانها لاتقصد الا حقها فى البقاء وفرض الصلح على العرب ٠٠ واذا تكلمت عن الاستعمار فانما تقصـد به « الاسـتعمار العربى » فى اليمـن او « الاستعمار الشيوعى فى فيتنام » ٠

هذه الزاوية الضيقة فى معالجة القضايا الاخلاقية ذات الطابع العقائدى تنجى اسرائيل من مآزق ايديولوجية وفكرية كثيرة ٠٠٠ ومن هنا جاء تركيزها فى الدعاية على التقدم والبناء والتعمير وتحويل الصحارى الى جنان ، وعلى العرب وانصارهم الذين يريدون تحطيم كل هذا التقدم والبناء والتعمير ٠٠ الى آخر الاسطوانة ٠٠ واسطوانة التقدم والنجاح عادة هى اشد الاسطوانات رواجا فى الدول الغربية لانها تحمل ضمنا معنى انتقال شعلة الحضارة الأوروبية الى الشرق ٠

وقد ادهشنى حقــا ان الاحظ ان كثيرا من الاجـانب الذين قابلتهم لا يعجبون بعبد الناصر الا لما حققه لبلاده من تقـدم وبنــاء فقط وليس لدوره التاريخى العظيم فى تأييد الحـركات التحــررية ومقاومة الاستعمار ومحاربة التفرقة العنصرية ومقاومة الاستعمار والتفرقة العنصرية وتخفيف حدة التوتر العالمى وحماية الســلام من الحروب الباردة الساخنة .

هل يرجع هذا الى ان الغربيين لا يعرفون شــيئا عن كفــاح عبد الناصر العقائدى بسبب ما تفرضه الصهيونية من حظر على نشر أى خبر عن نشاط عبدالناصر فى ميدان مكافحة الاستعمار والتفرقة العنصرية وغير ذلك منعا لاحراج اسرائيل حين يتساءل الناس لماذا لا تتخذ الصهيونية واسرائيل مواقف من هذا النوع ؟.

اغلب الظن ان هذا هو السبب ، لان الصــــهيونية العالميــة لاتسمح الا مكرهة بنشر جهود عبد الناصر من اجل تقدم بلاده كيلا يقال ان اسرائيل ضد التقدم نفسه .

البروتوكولات تحققت فعلا

واخيرا هل فيما نقوله عن ضخامة النفوذ الاعلامى الصهيونى الى هذا الحد أية مبالغــة ؟ كلا . فقد رأينــا كيف اكتشف بنيامين فرانكلين ذلك منذ اكثر من ١٧٧ عاما .. بل ان بروتوكول حكماء صهيون قد اعترف بذلك منذ القرن الماضى حين قال : « لن يصل طرف من خبر الى المجتمع من غير ان يمــر على ارادتنــا .. وهذا ما توصلنا اليه فى الوقت الحاضر فعلا .. » .

وسواء كانت البروتوكولات صهيونية او مختلقــة ظلما على الصهيونية (كما يشيع اليهود) فان عمليــة الاختلاق نفســها اذا صحت كان لها ما يبررها حينذاك من حيث احساس الجهات التى

اختلقتها بضخامة نفـوذ اليهـود المالى والاعـلامى واعترافها بذلك ضمنا ·· والنتيجة فى كلتا الحالتين واحدة ·

ولكن هذا النفوذ فى الواقع لا شـك فيه مطلقـا فقد تحقق معظم ما فى البروتوكولات بطريقة مذهلة ويكفى ان نعرف ان هذا النفوذ قد وصل الى حد الارهاب حتى فى ميدان النشر والأعلام ·· وخير دليل على ذلك كتاب البروتوكولات نفسه ·· فقلما ظهر هذا الكتاب فى الاسواق الا صودر فورا او اختفى فى ايام او اسابيع بطريقة غامضة مهما كانت اللغة التى ترجم اليها ·· ولا نعرف ان دارا مشـهورة من دور النشر والتـوزيع قد اقدمت على طبعـه او توزيعه ، فقد دلت الدراسات كما قال عباس محمود العقاد : على انه صادر عن المطابع الخاصة التى تعمل لنشر الدعوة وليس للبيع والربح والشراء ·

وادهى من ذلك كله ان معظم من ترجموا الكتاب الى مختلف اللغات قد قتلوا أو ماتوا فجأة فى ظروف غامضة · وقد كلف انيس منصور منذ حوالى عشرين عاما بان يترجم البروتوكولات لقاءمبلغ مغر من المال ، ولكنه تردد فترة خشية ان يلقى نفس المصير ، ثم تنفس الصعداء حين سبقه مترجم آخر،فقد تلقى عدة خطابات تهدده بالقتل ! وعندما نشرت ترجمة محمد خليفة التونسى للبروتوكولات عام ١٩٥١ اختفى الكتاب من المكتبات فى سرعة مريبة ·

ترى هل كانت الصـهيونية العالمية تمارس كل هذا النفوذ وتبذل كل هذه الجهود المحمـومة للسـيطرة على وسـائل الاعـلام واسواق المال لو كانت تعرف ان قضيتها عادلة فلا تخشى على نفسها شيئا ؟ ·

هذا هو السؤال ··

الفصل الرابع

« العبرة بالتقدم لا بالمبادىء »

كل بلد تستعمره أقلية غاصبة غريبة عنه غالبا ما تجد فيه ثلاث خصائص مميزة : التقدم الصناعى والعمرانى ، والجيش القوى ، والتفرقة العنصرية . وبكلمة أخرى لابد أن ترى فيه تقدما ملحوظا على حساب الأخلاق والحقوق الانسانية .

لماذا أصبحت اسرائيل استثناء

وســواء ذهبت الى جنوب افريقيا حيث يســيطر خلفاء فير فورد ، أو الى روديسيا حيث تهيمن حكومة ايان سـميث البيضاء ، أو الى اسرائيل حيث تعيث الصهيونية فســادا واجراما فى الارض المنهوبة ، فلابد أن تجد فيها جميعا هذه الخصــائص الثلاث .. فجنوب افريقيا هى أول دولة صناعية فى افريقيا ، وهى تملك اقوى جيش فى القارة باسـتثناء الجمهورية العربية المتحدة ، وسياستها فى التفرقة العنصرية قد عزلتها تماما عن معظم دول العالم .. اما روديسـيا فتملك قوة جوية ضــاربة وقوة اقتصادية احتكارية ضخمة تتحكم بها فى مقدرات زامبيا وغيرها من الدول المجاورة اما اسرائيل فالوضع فيها غنى عن التعريف .

فى كل هذه الدول لابد من التفوق الاقتصادى والعسكرى من اجل استنزاف ثروات البلاد من ناحية ومن أجل استخدام القوة العسكرية فى البقاء ، وقمع نقمة السكان الاصليين الثائرين ..

فاسرائيل مثلا لم تكتف مثلا باستنزاف موارد الأرض التى تحتلها فقط بل صادرت حتى اراضى العرب الصامدين هناك ، كما اعتدت على منطقة الحولة وباقى المناطق المنزوعة السلاح وعلى مياه الأردن لاستنزاف ثروات العرب . ثم نهبت ممتلكات عرب فلسطين فى الضفة الغربية وغزة مؤخرا ، بما فى ذلك انتزاع المصاغ من أجساد النساء .

ولكن لماذا يستنكر العالم جنوب افريقيا وروديسيا ولا يفكر فى استنكار اسرائيل ؟

انتقام لا عدوان

آفة الناس انهم يغفرون للضعيف كل جرائمه حتى ولو كانت فى حق من لم يسيئوا له ، خصوصا اذا صور للناس أنه انسان مستضعف يفعل ذلك دفاعا عن النفس وانه يبنى ويشيد من أجل الحياة والحضارة ..

وقد نجحت اسرائيل فى ذلك حتى صار الناس يصفقون لكل جريمة ترتكبها لا نهم لا يرون فيها « جريمة » بل « انتقاما » أو « دفاعا عن البقاء » .

من هنا جاء ذلك التأييد المادى والمعنوى الغريب لاسرائيل الى حد أنه لم يسبق لأية دولة فى العالم أن عاشت مثلها على موارد الدول الأخرى .. ومع ذلك لا تخلو الصحف والكتب الاجنبيه من التغنى بعبقرية اسرائيل وامجادها الاقتصادية وكثيرا ما ترى اعلانا سياحيا فى مجلة انجليزية يحثك على زيارة اسرائيل «التى استطاعت أن تضاعف دخلها القومى كل ثمانى سنوات » . ومن هنا عاد هذا على اسرائيل بحركة سياحية ضخمة تعتبر المورد الأول لاقتصادها الانتاجى مع صناعة صقل الماس بعد موردها الخارجى الأول وهو المعونات الاستعمارية .

والتغنى بتقدم اسرائيل الذى لا يقوم على أى استقلال اقتصادى ، وتمجيد حركة التعمير التى ما كانت تقوم لولا المساعدات الأجنبية الهائلة ، هما عنصران أساسيان فى الدعاية الصهيونية وخاصة فى حملات الاكتتاب لتمويل توطين المهاجرين الجدد فى الأرض المحتلة ، لأنه بدون هذه الطنطنة الدعائية لا يكون هناك مبرر لمساعدة اسرائيل ، وبالتالى لبقائها نفسه .

ولكن بعد سنوات طويلة من التكتم والمسرحيات الدعائية انهارت الأسطورة وظهرت الأسباب الحقيقية للعجز المزمن الكبير فى ميزانية اسرائيل (٥٢٢ مليون دولار عام ١٩٦٥) . فقد اتضح أن السبب فى هذا العجز لا يرجع فقط الى النفقات العسكرية التى تبتلع نحو ٣٥٪ من الميزانية (٤٥٠ مليون دولار) بقدر ما يرجع الى ضعف الانتاج نفسه ، وقلة المواد الأولية المحلية ، وقلة الصادرات التى تبلغ نصف الواردات ..

فصل بالجملة

واذا بدأنا بمسألة ضعف الانتاج نفسه لوجدنا أنه يرجع الى البطالة المقنعة قبل كل شىء ، فقد حاولت الدولة معالجة البطالة السافرة بالبطالة المقنعة اى بتوظيف المهاجرين المتدفقين على البلاد فى وظائف لا داعى لها فيتقاضون أجورا بلا عمل ..

وهكذا .. فكما ظلت اسرائيل فترة طويلة تعيش علنا على موارد الدول الأخرى ظل عدد كبير من سكان اسرائيل نفسها يعيشون خفية عالة على موارد الدولة أيضا ..

ولم يكن من الممكن اخفاء هذه الحقيقة طويلا ..

فالاقتصاد الاسرائيلى مصطنع مثل الوجود الاسرائيلى نفسه ،

وقد ولد وهو يحمل داخله بذور فنائه ، ومهما كثرت الحلول المصطنعة المؤجلة ، فلم يكن مفر من ظهور الأزمة على حقيقتها فى النهاية .

وقد ظهرت الحقيقة فى بداية أغسطس (آب) من العام الماضى (١٩٦٦) حين أعلن ليفى اشكول رئيس الوزراء ان البلاد « مهددة بانتشار البطالة على نطاق واسع وفقدان عشرات الالوف لوظائفهم وأعمالهم خلال الأشهر القادمة اذا لم يستجب الاسرائيليون لبرنامج التقشف ويتنازلوا عن جزء من اجورهم ويضاعفوا ساعات عملهم » .

من المسئول ؟

ولكن حكومة اسرائيل لم تنتظر نتائج برنامج التقشف فقد بدأت فعلا بالغاء جميع الوظائف اللازمة فورا مما أدى الى الاستغناء عن أكثر من ثلاثة آلاف موظف كدفعة أولى .. كما زاد المعدل اليومى للمتعطلين من ٣٥٢٧ فى مايو ١٩٦٤ الى ٦٣٢٠ فى مايو ١٩٦٦ أى بزيادة ٧٥٪ .. وقد بلغ عدد المتعطلين عام ١٩٦٦ ٦٥ ألف شخص فضلا عن ٢٧٧ حالة اضراب وتوقف عن العمل فى عام ١٩٦٥ وحده . وهو رقم قياسى عالمى .

أما برنامج التقشف الذى بدأ تطبيقه فعلا فأهم نقاطه تجميد جميع الأجور والمرتبات لمدة سنة ونصف وتقييد العلاوات لمدة سنة ونصف أخرى .. وفرض ضريبة اضافية على أصحاب الدخول المرتفعة وخفض قيمة العملات الأجنبية التى يسمح للمسافر الى الخارج بالحصول عليها ..

والنقاش شديد بين احزاب اليمين واليسار حول تحديد المسئول عن الأزمة .. فاليمين يلقيها على العمال ، واليسار يلقيها

على أصحاب العمل .. ولكن ستتضح لنا فيما بعد أن المسئولية تقع على الحكومة وعلى أصحاب الأعمال أكثر مما تقع على العمال .. لأن العمال ليسوا مسئولين عن العمل فى وظائف صورية لا تمكنهم من الانتاج ، ولكن الحكومة مصرة على فتح أبواب الهجرة والحاق المهاجرين بأية وظائف صورية مهما كان الثمن فى النهاية

.. ومن مهازل القدر أن الأزمة قد ظهرت فى فترة تدنت فيها نسبة المهاجرين الى الحضيض بعد أن بلغت عام ١٩٦٢ نحو مائة ألف مهاجر ..

لا ارتباط بالارض

والمشكلة الأولى فى الانتاج هى مشكلة الزراعة ، فاسرائيل تستورد معظم الغلات الأساسية اللازمة لاحتياجات غالبية السكان وهذا يكلفها نحو خمسين مليون دولار سنويا بالعملة الصعبة ، وأعجب من ذلك أنها تضطر الى استيراد علف المواشى والدواجن رغم أن دعايتها تتغنى بسذاجة بتضاعف المواشى والدواجن والبيض !

والفلاح الاسرائيلى جزء من المشكلة ، فليس له ارتباط جدى بالأرض وهو غالبا مايرفض العمل أكثر من ثلاثة أيام فى الأسبوع رغم التسهيلات الجمة والمعدات الزراعية الحديثة التى تتدفق بأعداد خرافية على البلاد .. ويكفى أن نعرف أن هناك مستعمرة تعاونية لا يزيد عدد سكانها عن ١٥٠ شخصا ومع ذلك تبلغ قيمة المعدات المستخدمة فيها ربع مليون دولار !

وتهاون الفلاح مصدره حقيقة قد لا يعرفها الكثيرون وهو أن اليهود الغربيون (الاشكناز خاصة) قد ضيقوا أبواب الرزق فى وجه اليهود الشرقيين ودفعوهم دفعا الى الزراعة التى لم يمارسوها من قبل فى كثير من الأحيان .. وطبيعى أن من يزاول عملا لا يحبه لا ينتظر منه الكثير ..

تضخم الفوارق الطبقية

وقد تحققت هذه النبوءة فعلا وظهرت بوضـوح منذ النصف الثانى من عام ١٩٦٥ .. فقد ذكر تقرير بنك أسرائيل منذ شهور قليلة ان اصحاب الاعمال فى القطاع الخاص يحصلون رغم قلتهم على ٦٠٪ من ايرادات هذا القطاع بينما لا يحصل العاملون به رغم كثرتهم الا على ٤٠٪ فقط . وهذا التوزيع ـ كما قال التقرير ـ هو عكس ما يحدث تماما فى الدول الغربية ..

معنى هذا أن اسرائيل التى تتباهى بأنهـا ذات مستعمرات تعاونية اشتراكية رائدة تتحول تدريجيا الى دولة أكثر رأسمالية من امريكا نفسها التى بدأت تعترف بمبدأ توزيع الثروات سـواء عن طريق فرض الضرائب التصاعدية أو مشاركة العمال فى الادارة والارباح والأسهم ..

وقد ظهر هذا واضحا فى اسرائيل فى عدم التكافؤ بين زيادة انتاجية العمال (٥ر٨٪) وزيادة الأجور (٤ر٢٪ فقط) فى العام المـاضى .. كمـا زاد عدم التوازن الاجتماعى حسب تقرير بنك اسرائيل بين عامى ٦٤ ، ٦٥ من ٥ر١٤٪ الى ٥ر٢٤٪ . وقد أعترف التقرير بأن « الفوارق الطبقية قـد زادت بصورة خطيرة جـدا وأخذ الدخل القومى يتسرب الى عدد ضئيل من أصحاب رءوس الأموال » . وهذه حقيقة أكدها سارتر بنفسه بعد زيارة اسرائيل فى بداية هذا العام .

انعدام الاستقلال الاقتصادى

قد يقال ان سوء توزيع الدخـل القـومى لا يمنع النمو الاقتصادى . والجواب باعتراف الكاتب الاسرائيلى زفى كلاين فى جريدة كول عاهام يوم ١٩٦٦/٦/١٠ هو أن التكوين الاقتصادى

للبلاد الذى يقوم على الاحتكارات والتكتلات الرأسمالية هو سبب الأزمة .. ثم قال بالحرف الواحد :

« يمكننا ان نقرر ان السياسة الاقتصادية قد حققت جميع الظواهر السلبية المصاحبة ، من انخفاض النمو الاقتصادى ، والبطالة ، وايقاف قوى الانتاج ، وانخفاض الصادرات الصناعية ، ولكنها لم تقرب اسرائيل أو تبعدها عن الهدف الذى وضعه مخططو هذه السياسة ، الا وهو خفض العجز فى الميزان التجارى والسير نحو الاستقلال الاقتصادى » .

هذا كاتب يهودى يعترف ان اسرائيل لم تخفق فقط فى تحقيق الاستقلال الاقتصادى بل وأخفقت أيضا حتى فى السير نحو هذا الاستقلال .

وكان لابد أن ينعكس هذا فى النهاية على الانتاج القومى نفسه .. فبعد أن كان الانتاج القومى يزداد سنويا بنسبة تتراوح بين ١٠ ــ ١٢٪ خلال الأعوام القليلة الماضية (بسبب ضخامة المساعدات والقروض الأجنبية وقلة السكان الذين لا يزيدون عن ٧ر٢ مليون) هبطت النسبة عام ١٩٦٥ الى ٧٪ والى أقل من ذلك كثيرا فى العام الماضى (١٩٦٦)

صناعة بلا تصدير

وقد اعترف الكاتب أن هذا التدهور فى الانتاج القومى لا يرجع الى تكاسل العامل الصناعى بل الى عدة أسباب فنية أهمها : « ان الصناعة الاسرائيلية ليست لديها القدرة على المنافسة فى الأسواق الخارجية وتحتاج للحماية فى الأسواق الداخلية بمبلغ يتراوح بين ٥ر٤ ــ ١٠ ليرات للدولار الواحد » ..

معنى ذلك ببساطة ان سعر الليرة الاسرائيلية قد انخفض من ثلاث ليرات للدولار (وهو السعر الرسمى) الى نحو ٢ر٧ ليرات للدولار الواحد فى المعدل فى السوق الحرة ..

ومعنى ذلك ايضا ان الاقتصاد المصرى اكثر استقرارا وتوازنا وان الجنيه المصرى احسن حالا بكثير لان سعره فى السوق الحرة يزيد عن سعره الرسمى بنحو ٥٥٪ بينما تصل الزيادة بالنسبة للجنيه الاسرائيلى الى ١٣٥٪ تقريبا ثم ان الجنيه الاسرائيلى قد خفض اربع مرات منذ قيام اسرائيل بينما لم يخفض الجنيه المصرى غير مرة واحدة ..

اما لماذا لا تستطيع الصناعة الاسرائيلية المنافسة فى الاسواق الخارجية فقد أرجع الكاتب ذلك الى عدة أسباب من بينها « ضيق القاعدة الصناعية المنتجة وقلة الاستثمارات المخصصة للانتاج فى السنوات الاخيرة » . ونتيجة ذلك فان اسرائيل أصبحت تستورد ضعف ماتصدر تقريبا .. ففى عام ١٩٦٤ استوردت ماقيمته ٢٨٤ مليون دولار وصدرت ما قيمته ١٤٩ مليون دولار ..

سياسة الربح السريع

والواقع ان آفة الاقتصاد الاسرائيلى اعتماده على طابع التجارة والخدمات والوساطات والايجارات بدلا من الاستثمار الصناعى ورأس المال المنتج .. وهذا على الأغلب نابع من النزعة اليهودية التقليدية نحو الربح السريع .. ويتضح هذا من طبيعة المصدرين الرئيسيين للعملات الصعبة فى اسرائيل ، وهما صناعة صقل الماس والسياحة .. والاولى صناعة تجارية تحويلية احتلت مكان الموالح التى كانت تمثل السلعة الاولى فى الصادرات حتى عام

١٩٦٠. وأما السياحة فصناعة خدمات لا تحتاج الى استثمارات ملحوظة ..

وسياسة الربح السريع تمتد حتى الى ميـــدان الزراعة ، فالتركيز ينصب منذ قيام اسرائيل على انتاج الغلات التجارية ذات الربح العاجل مثل الموالح والخضـار والبطيخ والمواشى مع اهمال الحبوب والغلات الأساسية اللازمة لاستهلاك غالبية السكان والتى لا تمثل أكثر من ١٠٪ من مجموع قيمة الانتاج الزراعى ..

نحن اذن امام اقتصاد زراعى مختل لا يهتم بانتاج الحاصلات التى تسهم فى تعديل ميزان المدفوعات وهذا يفسر العجز الهائل فى الميزان التجارى (٥٢٢ مليون دولار عام ١٩٦٥) وهو أمر من شأنه (بعد قرارات الحكومة الاخيرة لمواجهـة الازمة) أن يهدد اليهود ـ كما قالت وكالة اليونايتدبرس فى ١٩٦٦/٨/٢٨ ـ «بحالة انكماش اقتصادى كبير » ، وقد أكد هذه الحقيقة أحد رجال الاقتصاد عندما قال ان اسرائيل « ســتبدأ سبع سنوات عجاف فالأسعار مستمرة الارتفاع والاستثمارات والصادرات مستمرة الانكماش ، والانتاج والأرباح فى تدهور ، وبالتـــالى فان قوائم العاطلين فى ازدياد . كما ارتفعت الأسعار فى نفس الوقت ارتفاعا صـاروخيا بسبب زيادة نفقات المعيشة » ..

المساعدات الامريكية

وهناك سؤال طريف وهو : ماذا كانت اسرائيل ستفعل اذن وماذا كان مصيرها لو لم تكن تتلقى كل هذه المعـونات والقروض الهائلة التى قدرت بحوالى ٨٥٠٠ مليون دولار منذ انشائها حتى عام ١٩٦٥ منها حوالى ١٨٠٠ مليون من تبرعات اليهود ؟

والاشـارة الى موضـوع المساعدات الاجنبية الى اسرائيل

يستحق التفصيل .. واذا بدأنا بالمساعدات الامريكية لوجدنا انه بين عامى ٤٨ و ٦٢ تلقت اسرائيل حوالى ٤٥٠٠ مليون دولار من حكومة أمريكا مباشرة ومن ادارة التعاون الدولى وتبرعات المنظمات الصهيونية والقروض ..

ورغم ان ما تحصل عليه اسرائيل من الولايات المتحدة يتم غالبا عن طريق ادارة التعاون الدولى التى يقضى نظامها بعدم تقديم المساعدات الحربية الا ان اسرائيل تشترى علنا بهذه المساعدات أسلحة من فرنسا وانجلترا وألمانيا وبلجيكا وايطاليا ..

وحتى عام ١٩٥٩ كانت المساعدات الرسمية الامريكية تتخذ صورة منح مباشرة .. وفى ذلك العام توقفت هذه المنح وأصبحت اسرائيل تنال مساعداتها بموجب برنامج المساعدات الامريكى .. وحينما يرى المرء هبوط المنح الامريكية المباشرة من ٧٣ مليون دولار عام ١٩٥٠ الى ٧ر٥ مليون دولار فقط عام ١٩٥٨ (وهو آخر عام تقاضت فيه اسرائيل منحا مباشرة من أمريكا) يعتقد أن الأخيرة قد تخلت عن ربيبتها اسرائيل .. ولكن الحقيقة غير ذلك تماما ..

فالواقع الساخر يقول ان ما تناله اسرائيل حتى اليوم من المساعدات والقروض والتبرعات الامريكية يبلغ ١٧ ــ ١٨ ضعفا عما تناله جميع الدول العربية مجتمعة !

ويكفى أن نعلم أن دولة اسرائيل بسكانها الذين لا يبلغون الثلاثة ملايين بعد قد تلقت من مختلف الجهات حوالى ٣٩٦ مليون دولار عام ١٩٦٤ ومعظمها طبعا من آمريكا .

أما عن سندات القرض الاسرائيلى فقد درت بين عامى ١٩٥١ ــ ١٩٦١ حوالى ٥٠٠ مليون دولار .. ولكن المؤتمر العالمى لزعماء

حملة بيع سندات القرض الاسرائيلى الذى انعقد فى أغسطس ١٩٦١ وضع خطة لرفع هذه الحصيله بحيث يتمكن من جمع ٥٠٠ مليون دولار أخرى فى سبع سنوات فقط (١٩٦١ ـ ١٩٦٧) بدلا من عشر .. ويبدو أن هذه الخطة قد نجحت تقريبا ، فقد درت حملة بيع السندات فى أمريكا وحدها عام ١٩٦٢ ٥ر٦٦ مليون دولار تحت ستار « تمويل مشاريع التنمية الاسرائيلية » .. كما جمعت جمعية النداء اليهودى الموحد فى نفس ذلك العام حوالى ثلاثة ملايين جنيه استرلينى من بريطانيا .. بل انها جمعت فى ليلة واحدة ما يكفى لنفقات ٢٥٠٠ مهاجر ..

المساعدات الألمانية

قالت مجلة دير شبيجل الألمانية المعروفة بدقة أنبائها فى ابريل ١٩٦٦ ان التعويضات الالمانية التى بدأت عام ١٩٥٣ قد بلغت فى نهاية عام ١٩٦٥ حوالى ٢٠ ألف مليون مارك (خمسة آلاف مليون دولار) منها ٣٤٥٠ مليونا حسب اتفاقية التعويضات و ٣٤٠٠ مليون تعويضا عن فقد الممتلكات و ٢٣٥٠ مليونا تعويضات شخصية و ٢٤٠ مليونا قيمة صفقة أسلحة تم الاتفاق على تعويضها بعد الغاء ارسال ما تبقى منها بعد احتجاج الدول العربية ..

وقد أكدت المجلة أن مجموع التعويضات الألمانية سيصل فى النهاية الى ٣٢ ألف مليون مارك عام ١٩٧٥ .. وتتلقى اسرائيل سنويا أقساطا مختلفة كان أكبرها عام ١٩٥٤ ـ (حوالى ٣٥٤ مليون مارك) وأقلها عام ١٩٥٧ (٢٢٥ مليون مارك) كتأديب لها من أمريكا لقيامها بالعدوان الثلاثى دون استئذان الولايات المتحدة!

ويجب ان نلاحظ ان حكومة اسرائيل قد استولت على معظم التعويضات الفردية التى دفعتها ألمانيا الغربية الى اسرائيل لتتولى

توزيعها على من يستحقونها (ومعظمهم يقيم حاليا فى اسرائيل) .. فقد استخدمتها فى مشروعات التنمية بدلا من دفعها الى ضحايا النازية . وتقدر قيمة هذه التعويضات الفردية بحوالى ٥ر١٤ مليار مارك فضلا عن ٩ر١ مليار مارك دفعتها ألمانيا وفقا لقانون رد الممتلكات الى أصحابها ..

المساومة على الصليب المعقوف ؟!

هذا عن التعويضات .. فماذا عن القروض الألمانية ؟

لقد تم الاتفاق فى ابريل ١٩٦٦ على تقديم الفى مليون مارك لاسرائيل تنفيذا للاتفاق السرى بين اديناور وبن جوريون فى نيويورك عام ١٩٦٠ . والعجيب ان بن جوريون كان قد طلب فى ذلك اللقاء ألف مليون مارك فقط .. ولكن اسرائيل استغلت بعد ذلك انتشار علامات الصليب المعقوف وساومت على رفع القرض الى أربعة آلاف مليون مارك .. وفى النهاية أسفرت المساومات عن الاتفاق على ألفى مليون مارك !

ويكاد يكون من المؤكد ان اسرائيل هى التى تولت عملية رسم الصلبان المعقوفة فهناك شواهد كثيرة على أنها كانت تقدم على ذلك كلما احتاجت الى المال والى اذكاء عقدة الذنب متى أوشكت ان تخبو .

وقد اعترفت مجلة دير شبيجل الألمانية فى أبريل ١٩٦٦ بأن المساعدات الألمانية لاسرائيل تمتص جزءا كبيرا من الميزانية « مما سيضطر ألمانيا الى زيادة الضرائب أو خفض معاشات التقاعد » . وقد فضلت مؤخرا زيادة الضرائب فعلا فى يوليو ١٩٦٧

ان خير شهادة تحطم خرافة الاستقلال الاقتصادى ومعجزات

التنمية الذاتية فى اسرائيل قد تطوع بالادلاء بها الكاتب الصهيونى الامريكى ناداف صافران الذى حارب مع العصـــابات الارهابية اليهودية فى فلسطين الى أن تجنس بالجنسية الامريكية وعمـل استاذا فى جامعة هارفارد .

قال هذا الصهيونى المتطرف فى كتابه « الولايات المتحـدة واسرائيل » : « لقد حققت اسرائيل ذلك بفضل برنامج ضخم للاستثمار – يمول من مصادر خارجية . ففى غضون السنوات العشر الماضية (١٩٥١ – ١٩٦١) دخل اسرائيل حوالى ثلاثة آلاف مليون دولار . ولم تساهم المدخرات المحلية فى عملية تكوين رأس المال بشىء يستحق الذكر ، هذا اذا لم تكن مساهمتها سلبية » .

الأموال الهائلة اذن تتدفق على اسرائيل ومدخراتها المحلية تقوم بدور سلبى ، فى الوقت الذى خاضت فيه مصر معركة تأميم القناة ومعركة البنك الدولى وأمريكا من أجل بناء السد العالى .. ترى كم سدا عاليا كان بمقدور العرب أن يبنوا على اليرموك والفرات ودجلة لو نالوا ربع مانالته اسرائيل الصغيرة وحدها ؟

الفصل الخامس

ماذا قدمت الثقافة القومية اليهودية ؟

يروج اليهود (وغيرهم) بان الحضارة الغربية مدينة لهم بالكثير ، وان العرب ليسوا الا تتار الحضارات . وقد بدآت هذه الفكرة تنتشر كالنار منذ الخمسينات حتى بلغت قمتها الآن وتحولت الى حقد دفين على العرب . وقبل الخمسينات كانت الآية معكوسة ، فأسهم العرب عالية ، وأسهم اليهود منخفضة نسبيا وتأييد العالم لهم شبه مقصور على المستوى الرسمي .

العبرة بالتراث القومي

ماذا قدم اليهود ـ كيهود ـ للحضارة ؟

لا ينكر أحد أنهم قدموا عدة عبقريات علمية وفكرية فى سياق التاريخ . ولكن الظاهرة المميزة انهم قدموا ذلك كنتاج فردى ليس له اى طابع قومى يهودى ، اى ان اسهامهم الثقافى لم يكن قط تعبيراً عن ثقافة قومية بل مجرد محاولات فردية لا يبدو عليها الطابع اليهودى قط . ومن المستحيل على من يقرا لاسبينوزا مثلا أو آينشتاين أن يدرك أنهما يهوديان من ثنايا اعمالهما . بل ان الاول قد نبذه اليهود لترفعه عن تفاهات الشوفينية العنصرية اليهودية .

ان مفردات القواميس واشتقاقاتها اللغوية هى مقياس دقيق لمدى اسهام الشعوب القومى فى التراث الحضارى الحديث . ولو

رجعت الى قاموس وبستر او أكسفورد او لاروس ، لوجدت أن الفرق بين عدد ونوع الكلمات المشتقة من العربية من ناحية ومن العبرية من ناحية اخرى ، امر يستلفت النظر فعلا .. وسوف لا نزيد الامر تفاخرا فنضيف الكلمات الفرعونية والكنعانية والفينيقية والآرامية التى أسدتها الدول العربية الى الحضارة .

الكلمات العربية والعبرية فى المعاجم

وقد قلبت فى هذه القواميس طويلا ففوجئت بعشرات وعشرات من المصطلحات العربية الأصل ، وأغلبها مبتكرات فى الرياضيات والكيمياء والطب والفلك وعلم الأحياء والمعمار وحتى الازياء .

ومن هذه الكلمات الجبر (algebra) والكحول (alchohol) والقلويات (alkaloid) والمناخ (almanac) والحنا (alkanet) والقميص (chemise) والقنديل (candle) ونظير السمت (nadir) والقسمة (kismet) والتعريفة (tarrif) وغيرها كثير .

وقد قالت لى شاعرة أورجواى بيانكا تيرا فيرا صاحبة كتاب « النيل يمر ببلادى » أن ابناء امريكا اللاتينية لا يزالون يستعملون كلمات عربية كثيرة ، بعضها لم يعد مستعملا حتى فى أسبانيا الأم .. نفسها . وتضرب مثالا على ذلك كلمات مثل الكازار أو الكاثار (القصر) والمهادا (المخدة) والهمبرا (الحمراء) وأزيت (الزيت) ، فضلا عن اسماء الاشخاص وخاصة بين النساء ، واسم ليلى مثلا « شائع جدا فى بلدى » .

وماذا فى القواميس من الكلمات العبرية ؟

الاغلبية الساحقة مصطلحات دينية مأخوذة من العهد القديم عن التوراة ، مثل الاعياد الدينية والاسبوعية كالسبت (Sabbath)

واليوم الكبير (yum kippur) وأسماء الاشخاص ذات الأصل الدينى أيضا (ابراهام وجيديون وأزرا وآنا .. الخ ..) . ومن الغريب ان الكتاب المقدس عند بعض الطوائف اليهودية (كالسامريين مثلا) وهو الترجوم (Targum) مأخوذ من كلمة آشورية وليست عبرية !

أما السبب فى عدم وجود تراث ثقافى قومى يذكر لليهود فقد فسره هـ . ج . ويلز فى كتابه الشهير « موجز التـاريخ » حين قال : « كانت حياة العبرانيين اشبه بحياة رجل يصر على الاقامة وسط طريق مزدحم ، فتدوسه سيارات الركاب والنقل باستمرار . ومنذ البداية حتى النهاية لم تكن مملكتهم سوى حدث طارىء فى تاريخ مصر وسوريا وآشور وفينيقيا ... ذلك التاريخ الذى كان أكبر وأعظم من تاريخهم » .

حرق المغلوبين على طريقة ديان

ويؤكد جوستاف لوبون هذا المعنى فى كتابه « اليهـود فى تاريخ الحضارات الاولى » . وهذه مقتطفات منه :

● بقى بنو اسرائيل حتى فى عهد ملوكهم بدويين أفاقين ، مفاجئين مغيرين ، سفاكين مندفعين فى الخصام الوحشى . فاذا ما غلبهم الاجهاد ركنوا الى خيال رخيص ، كسـالى خالين من الفكر كمواشيهم التى يحرسونها » .

● كان اليهود عنيـدين منـدفعين غافلين سـاذجين جفاة كالوحوش والأطفـال . وكانوا مع ذلك عاطلين فى كل وقت من المفاتن التى يتجلى فيها سحر الصبا عند الناس والشعوب .

● لم تكن فلسطين او ارض الميعاد غير بيئة مختلفة لبنى اسرائيل ، فالبادية كانت وطنهم الحقيقى .

● يعرف جميع قراء التوراة وحشية اليهود التى لا أثر للرحمة فيها . وما على القارىء ليقنع بذلك الا ان يتصفح نصوص سفر الملوك التى تدلنا أن الملك داود كان يأمر بحرق جميع المغلوبين وسلخ جلودهم ونشرهم بالمنشار ـ وكان الذبح المنظم بالجملة يعقب كل فتح مهما قل . ويحكم عليهم بالقتل دفعة واحدة فيبادون باسم يهوه ، دون اعتبار للجنس او السن . »

اميرات أوروبا يتعلمن فى الأندلس

والحق أن الدولة اليهودية فى فلسطين التى دامت ستة قرون جد متقطعة قبل المسيح وبعده كان يغلب عليها طابع البداوة الدموية العنيفة .. بل ان تاريخ اليهود قبل عصر التوارة وبعدها ـ كما يقول الدكتور جمال حمدان فى كتابه « اليهود أنثروبولوجيا» ـ « كله غزو وعدوان وتغلب عليه صفة الشراسة والعنف » .

ومقابل ذلك تجد المؤرخ الفرنسى جوستاف لوبون يقول « لم تعرف الامم فاتحين متسامحين مثل العرب ، ولا دينا سمحا مثل دينهم » .

وبينما كان اليهود يتقوقعون خائفين وراء أسوار الجيتو فى اوروبا ، كان اخوانهم يعشون العصر الذهبى لليهود ايام الحكم العربى للأندلس ، وكان الطبيب الفيلسوف اليهودى ابن ميمون (ميمونيدس) يشرح « المشنه » اليهودية (وهى جزء من التلمود) ويعمل طبيبا خاصا لصلاح الدين وابنه ، وينشىء فى الاسكندرية مدرسة للشريعة الموسوية ، وتتعلم بنات الاسر المالكة الاوروبية فى جامعات الاندلس ، والبابا سيلفستريدس فى معاهد اشبيلية .

وبينما كان جنود الجرمان والفال شبه عراة فى الشتاء يرتدون جلود الحيوانات ويتركون شعورهم المتلبدة المهوشة تبلغ اكتافهم ، يتحدث المؤرخ فاليبير عن ثلاث بعثات أوروبية الى الاندلس العربية عام ٧٩٣ ميلادية (٢١٣ هجرية) بلغ عدد أفرادها سبعمائة طالب وطالبة ٠

وأهم مافي هذا الخبر أن البعثة الأولى كانت فرنسية برئاسة الاميرة اليزابيث ابنة خالة لويس السادس ملك فرنسا والثانية انجليزية برئاسة الاميرة دوبان ابنة أخ جورج الثانى ملك انجلترا ٠٠ أما البعثة الثالثة فكانت اسبانية ٠

كما أرسل فيليب ملك بافاريا بعثة تدرس أنظمة الحكم والقضاء وشرائع البلاد .. وارسل ملك انجلترا جورج الثانى ابنة اخيه الاميرة دوبانت مرة اخرى على راس بعثة من ١٨ اميرة ونبيلة الى اشبيلية ، مع كتاب الى هشام الثالث خليفة الاندلس يقول فيه ٠٠ « سمعت عن الرقى العظيم الذى تتمتع بفيضه الصافى معاهد العلم والصناعات فى بلادكم العامرة ، فاردنا لابنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم في بلادنا التى يحيط بها الجهل من أركانها الأربعة » ٠

علاقات عاطفية

وقد نشأت عدة علاقات عاطفية بين الطالبات الاوروبيات وزملائهم العرب فى المعاهد العلمية وانتهت معظمها بالزواج ، ومن هؤلاء الأميرة مارى غوبييه البلجيكية التى أحبها وتزوجها الأمير حسن بن المهدى ، وروبيكا ستارت الارستقراطية الجرمانية ، والراهبة جانيت سميسون ، وشونا ابنة الكونت سيرجاك الهولندى .

. وبعد ذلك بعدة قرون عند ما بدأت الكليات تظهر فى اوروبا حفظ لنا معجم لاروس برنامج الدراسة فى كلية العلوم فى لندن وكان يشمل الفلسفة الرشدية (نسبة الى ابن رشد) وعلم الفروسية عند العرب ، وفن الصيدلة المصرى ، والحساب ، والجبر (وهو علم عربى) وفن الطهى الحديث ، وفنون الموسيقى وتطبيق مصطلحاتها الشرقية على الموسيقى الافرنجية ، والكيمياء العضوية

. وعلى عكس هذا الانفتاح الثقافى كانت اليهودية ديانة وثقافة « مغلقة متقوقعة تحجم عن التبشير وتجتر نفسها ابدا » ، لان اليهود « ككل قطعان الرحل أبوا الا ان يعيشوا فى حظائر مسورة (الجيتو) داخل مدن الشتات .. »

ان الشخصية الفصامية التى يتميز بها التفكير اليهودى عامة والشيوعى اليهودى خاصة قلما تساعده على اتخاذ موقف تقدمى، فهو ممزق بين شوقه الى الاندماج اجتماعيا وبين خوفه من المجتمع الغريب عليه .. فمهما بلغ اهتمامه بالقضايا الانسانية كالاشتراكية ومقاومة التفرقة العنصرية والامبريالية .فانك تجد يهوديته المتأصلة فى أعماقه تشل أية خطوة منه ـ مخلصة كانت أو غير مخلصة ـ للاندماج فى تنظيمات عقائدية تقدمية والمساهمة فى القضايا العامة العالمية .. ومهما قيل انه ليس امام اليهودى غير طريقين لحل مشكلته كيهودى (اما الصهيونية أو الاشتراكية العالمية) فقد دلت شواهد كثيرة على ان ايمان اليهودية بالشيوعية مهما كان عميقا لا يخلو أبدا من البذور الصهيونية العنصرية الصارخة التى تتناقض جذريا مع عقيدته الماركسية .

ولدينا فى هذا الصدد ثلاثة أمثلة قوية :

١ ــ في الطبعة الأولى من كتاب ستالين « الماركسية والمسألة القومية » عام ١٩٤٦ نجد جملة هامة هي : « الصهيونية حـــركة رجعية يجب محاربتها » . وعندما صــدرت الطبعة الثانيــة عام ١٩٤٩ اختفت هــذه الجملة • ولا يدل هــذا فحسب على نفـــوذ اليهودية الشـــيوعية داخل الدوائر الثقافية الســوفيتية حينذاك بل يدل على أخطر من ذلك كله : أن اليهود الشـــيوعيين انفســهم كانوا لا يوافقون رفيقهم ستالين على أن الصهيونية حركة رجعيـــة !

٢ ــ فى عام ١٩٥٢ انكشفت فى تشيكوسلوفاكيا قضــــية سلانسكى الشهيرة التى أدين فيها أحد عشر من كبار المســئولين اليهود فى الحكومة والحزب الشيوعى التشيكى بتهمة التواطؤ مع الصهيونية ضد مصلحة البلاد واساءة استغلال نفوذهــم لصالح جهات أجنبية (١) وقد نفذ فعلا حكم الاعــدام فى عشر منهم بما فى ذلك ــ رودلف سلانسكى سكرتير الحزب الشــيوعى التشــيكى ، وكلمــا نتيس وزير الخــارجية ومارجــوليوس نائب وزير التجــارة الخارجية ، وبيدريش راينسين نائب وزير الدفاع ، وسفاب وكيل وزارة الداخلية . كما حكم بالاعدام أيضــا على لويبــه نائب وزير المالية ولكن لم ينفذ الحكم فيه .

٣ ــ انسحب جميع الاعضاء اليهود من الاحزاب الشيوعية فى معظم دول أوروبا (حتى فى باريس) عنــدما ادانت العــدوان الاسرائيلى الامبريالى على مصر وسوريا والاردن . ونحن نعــرف جيدا كيف إن اليهود رقصوا وشربوا الخمر فى شوارع وارســو احتفالا بانتصار اسرائيل على العرب فى الجولة الاولى .

---

* France Observateur, 29 août 1963.

موقف الصهيونية من مشكلة الزنوج

هذا عن موقف اليهود الماركسيين ، فماذاعن موقف اليهودى العادى فى الغرب من الحركات العقائدية التقدمية الاخرى ، كمقاومة الامبريالية والتفرقة العنصرية ؟

ولكن سوف لا نتكلم عن تأييد اسرائيل لعدوان أمريكا على فيتنام ، فهذا أمر تشهد به زيارة موشى ديان . ولكن لو تناولنا مشكلة التفرقة العنصرية لوجدنا نفس الروح الانفصالية المترسبة فى أعماق غالبية اليهود ..

قال الكاتب الزنجى المعروف جيمس بالدوين : « لقد كنا نتوقع ان يبدى اليهود من الفهم للمشكلة العنصرية مالم يتوقعه الزنجى المتدين الساذج من الامريكى المسيحى .. ولكن اليهودى فشل فى ان يبرهن على ايمانه الذى يتشدق به » .

والدليل على ذلك ان علاقة اليهود بالزنوج لاتزال متوترة سواء داخل المدن الامريكية او فى ضواحيها .. ومن ذلك ان جريدة « امستردام نيوز » الزنجية هاجمت عام ١٩٥٨ ناظر مدرسة برونكس اليهودية لأنه قبل الطلبة الزنوج فى خمسة فصول بالمدرسة ولكنه عزل هذه الفصول فى طابق مستقل .

ومن ذلك أيضا ان رئيس نادى البورصة المحلية — وهو يهودى فى منطقة « ماونت فرنون » رفض قبول زنجى بارز عضوا فى النادى .

ولما هاجمت صحيفة زنجية (١) الرئيس اليهودى ، رد هذا ردا تجلت فيه « الأحقاد اليهودية الدفينة ضد الزنوج » .

والاقتباس الاخير ليس من عندى بل هو نص ماقالته منظمة يهودية تعليقا على ذلك .

---

(١) جريدة الاهرام — ١٩٦٠/٣/١٢.

الفصل السادس

الصهيونية شجعت اللاسامية

قد يأتى هذا العنوان مفاجأة لكثير من الناس، والعرب بالذات ولكن بعض الحقائق التاريخية قد تذهل أكثر العقول حذرا وتحفظا.

ان سيف تهمة اللاسامية الذى تسلطه الصهيونية العالمية على رأس أى انسان حتى ولو كان يهوديا يشبه تماما سلاح « الحرمان » الذى كانت تستخدمه الكنيسة خــلال القرون الوسطى حتى ضد الملوك ، والنتيجة هى الانعزال الكامل عن المجتمع والمقاطعة الاقتصادية والدينيــة والاجتمــاعية التى تــكاد تبلغ حد اهــدار دم المحروم • وسيتضح لنــا فى الصفحات القــادمة المرعبة كيف شــجع زعمــاء الصهيونية ذبح اليهود قبل قيام اسرائيل لتشجيع الهجرة اليهــا مستقبلا من ناحية ، وجعــل التهجم على الصهيونية واسرائيل أمرا أقرب الى التحريم من ناحية أخرى •

روى موشى منيوحين (وهو والد عازف الكمان اليهودى الشــهير يهودى منيوحين) فى كتابه « بداية انحلال اليهودية » انه ذهب الى أكبر مكتبة فى كاليفورنيا لشراء نسخة من كتاب « خيــانة » الذى كتبه الصهيونى التائب بن هشت فحضر له مدير المــكتبة وقال له بالحرف الواحد : « هــذا الــكتاب ضد السامية ، وهو كتــاب غير اخلاقى ، ونحن لا نبيع مثل هذا الكتاب حتى ولو حمل اسم كاتب يهودى كان لامعا ومشهورا مثل بن هشت ! » •

الى هذا الحد ! يهـودى يطلب شراء كتاب لمؤلف يهـودى آخر فيرفض البائع الامريكى بحجة ان هذا الكتاب اليهودى لا سامى ولا أخلاقى !

مأساة بن هشت

وقصة بن هشت نموذج لما يحدث لأى انسان ـ حتى ولو كان يهوديا ـ اذا تعرض للصهيونية وأهدافها الاستراتيجية ••

كان هشت حتى وقـت قريب من أكثر الصهيونيين تطرفا ، ومن ألمع كتاب السـينما الأمريكية ، ومن أنشط جامعى التبرعات لاسرائيـل حتى انه ساعد فى جمع أكثر من مائة مليـون دولار للمنظمات الصهيونية ولصندوق الضـمان الاسرائيلى • وكانت له برامج رائجة فى الاذاعة والتليفزيون ، كما كان له عمـود يومى تنشره حوالى مائة صحيفة فى جميع أنحاء أمريكا وأوروبا الغربية •• وظل هشت كاتب الصهيونية المدلل الى أن فـكر فى كتابة قصـة اضطهاد النازية لليهود •

ولكنه خلال دراسته صدمته عدة حقائق غيرت مجرى تفكيره وايمانه •

لقـد اكتشف أن زعمـاء الصهيونية باعوا ملايين اليهود كى تصبح الصهيونيـة حركة يعطف عليها العالم توطئـة لانشاء دولة لليهود ، كمـا وجد أن المنظمات الصهيونية قد تعاونت مع الزعماء النازيين مثل هملرونائبه ايخمان لانقاذ حفنة من الزعماء الصهيونية مقابل رءوس مئات الآلاف من اليهود فى أوروبا •

وأفرغ هشت معلوماته فى كتابه « خيانة » فجمعته المنظمات الصهيونية من دور النشر والمكاتب وأحرقته ، ثم رفضت شركات السينما التعامل مع هشت وألغيت برامجه فى الراديو والتليفزيون ،

ورفضت الصحف تجديد عقد عموده اليومى • وكان ان مات الرجل النزيه كمدا وانعزالا بسلاح الحرمان الصهيونى ••

اللاسامية هى اللاصهيونية مقنعة

هكذا يتضح لنا أن اللاسامية ليست سوى اللاصهيونية كما يقول الفيلسوف اليهودى الفرنسى ماكسيم رودنسون الذى يؤكد قوله بهذا الدليل : « ان فلسطين العربية لم تعرف قط شيئا اسمه اللاسامية قبل ظهور الحركة الصهيونية » •

ولكن ما هى الشواهد التاريخية على تشجيع الصهيونية للحركة اللاسامية قبل انشاء اسرائيل ؟

١ ــ جان فرانسوا شتاينر كاتب يهودى شاب أثار ضجة هائلة بروايته « تربيكلينكا » التى نشرها عام ١٩٦٦ • فقد اتهم فيها اليهود بمساعدة النازيين يدويا فى عمليات ابادة اليهود فى معسكرات الاعتقال •

وقال ان المساجين اليهود كانوا ينزعون ملابس زملائهم قبل قتلهم فى غرف الغاز، ثم يسحبون جثث القتلى ويسرقون منها الاسنان الذهبية قبل دفنها أو حرقها •

٢ ــ مؤلف يهودى آخر اسمه بورج ذكر فى كتابه « الجريمة والمصير » ان الكولونيل ماينار تسهاجن أحد مستشارى اللورد اللنبيى (الذى احتل فلسطين عام ١٩١٧) قد سمع حاييم وايزمان يقول فى حديثه مع القائد الانجليزى : « اننى افضل ان يفنى كل اليهود الالمان على التنازل عن فلسطين » •

٣ ــ مؤلف ألمانى معاد للنازية اسمه اويجن كوجون ، قال فى كتابه « دولة فوق الهجوم » •• ان الجنود الالمان كانوا يكتفون

بمراقبة معسكرات الاعتقال من الخارج ويتركون ادارتها لرؤساء من المساجين . وكان رؤساء المعسكر يضربون اخوانهم ضربا مبرحا يفضى الى الموت فى أحيان كثيرة . ولما كان المشرفون الالمان لا يحاسبونهم على ذلك فقد كان المسجونون انفسهم يتولون عقابهم والانتقام منهم . وما زال كثير من هؤلاء الرؤساء طلقاء لا يجرؤ أحد على حسابهم .

حقيقة مذبحة المجر

ولكن الشواهد التى ساقها هشت وغيره أكثر اهمية :

٤ ـ كشف هشت فى كتابه حقيقة « ذلك المحفل اليهودى الجبان فى القدس ولندن وامريكا...أولئك الزعماء الصهاينة الذين تركوا ستة ملايين من ابناء جلدتهم يحترقون ويختنقون ويشنقون دون احتجاج منهم او مبالاة » .

وضرب مثلا لذلك فضيحة محاكمة كاستنر ـ جرينوالد التى دارت عام ١٩٥٦ « وهزت اسرائيل وكانت سببا فى سقوط الحكومة حينذاك » كما يقول الكاتب اليهودى الفريد ليلنتال .

قال هشت ان مالكيل جرينوالد قد نشر فى كتابه « الغرير » أدلة على ان زعماء اسرائيل ساعدوا النازيين فى مذابحهم ، واتهم الدكتور رودلف كاستنر (وهو موظف اسرائيلى كبير بالتعاون مع ايخمان عام ١٩٤٤ فى مذبحة المجر التى مات فيها مليون يهودى (سنرى فيما بعد أن الصهاينة بالغوا كثيرا فى العدد عمدا) .

ورغم أن جرينوالد مؤلف الكتاب صهيونى متطرف كان يؤيد المنظمات اليهودية الارهابية فقد ثار كاستنر عليه ولفق له « محاكمة مجرمة زائفة » .

ويشرح هشت مذبحة يهود المجر خلال الاحتلال النازى فيقول ان كثيرين منهم كانوا على مسافة ثلاثة أميال فقط من حدود رومانيا تحت حراسة مفرزة نازية صغيرة جـــدا ولكنهم كانوا لا يعرفون ذلك ٠٠ اذ ان الزعيم الصهيونى كاستنر كان يطمئنهم وظل يؤكد لهم سلامتهم حتى اللحظة التى شحنوا فيها الى المحرقة ٠٠ وكان النازيون قد ارسلوا مبعوثهم جويل براند ليفاوض الزعماء اليهود على مقايضة الاسرى بصفقة من سيارات الشحن ، ولـــكن حاييم وايزمان رفض مقابلته عدة أســـابيع حتى صـــار عقد الصـــفقة مستحيلا ٠

ويضيف هشت قائلا : « لو ان الجماهير فى فلسطين عرفت مادار فى المجر لانهار زعماء الوكالة اليهودية وفقدوا سلطانهم » ٠

تعاون الصهيونية مع النازية

٥ ــ اكدت حنة آرنت هذه الحقيقة فى كتابها « ايخمـــان فى القدس » ٠ بل انها زادت « فربطت الصهيونية بالنازية » كما قال الفريد ليلنتال معلقـا على ذلك فى كتـــابه الجديد « الوجه الآخر للعملة » ٠

قالت المؤلفة ان الصهيونيين كانوا اليهود الوحيدين الذين تعاونوا مع الســـلطات الألمانية خـــلال حكم هتلر ٠ وقد استغلوا مراكزهم ونفوذهم للقضاء على ثقة الالمان فى أعداء الصهيونية ، واليهود الداعين الى الاندماج فى الشعب الالمانى ٠ بل ان الزعماء الصهاينة حثوا اليهود على « لبس النجمة الصهيونية الصفراء بإافتخار » على أمل أن يزيد ذلك من نفوذهم ٠ فقد كان النازيون يشجعون هجرة اليهود من المانيا ، ولهذا كان الصهيونيون يأملون ان يســـاعدهم النازيون فى تهريب اليهود الى الديار المقدسة ٠

« وقد تم فعلا عقد اتفاق بين الوكالة اليهودية والسلطات النازية ساعد فى تنفيذه حتى رجال الجستابو والصاعقة » •

٦ ـ قال الكاتب الصهيونى جون كيمشى « ان ضغط الصهيونيين على الصحافة فى هولندا ووشايات مبعوثيهم الى سورينام (غيانا الهولندية) فى أمريكا الوسطى قد حكمت بالفشل على محاولة مماثلة لانقاذ اليهود هناك » • وجدير بالذكر ان كيمشى قد طرد مؤخرا من رئاسة تحرير جريدة « جويش أوبزرفر » بعد أن كشف تواطؤ اسرائيل فى جريمة اغتيال الزعيم المغربى مهدى بن بركة، ونشر أرقاما عن انخفاض الهجرة الى اسرائيل وازدياد المهاجرين منها ، مما اعتبرته اسرائيل امرا يهدد امنها وسيادتها القومية • فالهجرة الى اسرائيل شىء مقدس لا لمجرد جلب اليهود بل لجمع التبرعات والقروض على أساس ذلك •

هذه الشواهد الستة تؤكد الملاحظة التى أبداها منذ وقت بعيد ريتشارد كروسمان الزعيم والوزير العمالى البريطانى : « ان الصهاينة مرعبون •• فشغلهم الشاغل ليس انقاذ اليهود واخراجهم احياء من اوروبا بل ارسال اليهود الى فلسطين » •

المسألة اذن استدرار العطف على اليهود لضمان تحريم مهاجمة الصهيونية وخلق مبرر قوى لضرورة انشاء وطن يهودى قومى حتى ولو ضحوا لذلك بعدة ملايين • ويؤكد هذه النقطة تهويل الدعاية الصهيونية الشديد لعدد اليهود الذين قتلوا فى اوروبا وجعلهم ستة ملايين ، فضلا عن اغتيال ومطاردة ونفى كل من يحاول كشف هذه الكذبة ، كما سيتضح لنا من الفصل التالى •

الفصل السابع

هل هم ستة ملايين حقا ؟

بل انهم لا يبلغون حتى المليون ..

وقد أثبت ذلك المحامي الألمان برنارد كنيتل فى تقرير نشره منذ ثلاث سنوات تقريبا بعد أن عكف عدة أعوام على دراسة أساليب الدعاية الصهيونية . وقد تولت وكالة أنباء عالمية نشر هذه الدراسة ، ولكن التقرير الخاص بحقيقة ضحايا النازية من اليهود قد أوقف بعد أن نشر منه حلقتين فى ألمانياالغربية وبلجيكا ، كما أن سائر الدول الأوربية ــ مثل سويسرا ــ رفضت نشره .

وهذا ملخص التقرير الهام (*) .

ألوف المحاكمات لصالح اسرائيل

تجرى الآن فى فرانكفورت محاكمة نفر آخر ممن يسمونهم « مجرمى الحرب » . والمراد بهم بقايا النازيين . وهذه المحاكمات تتناول عادة ما اقترفه المتهمون ضد اليهود ، لأن الدعاية الصهيونية عرفت كيف تقنع الناس بأن هتلر لم يعلن الحرب على انجلترا أو فرنسا أو غيرهما ، بل على اليهود وحدهم ، فهؤلاء هم الذين تحملوا التضحيات وحدهم فى سبيل ما يسمى بالعالم الحر ! ولهذا فمن واجب هذا العالم أن يستمر فى تعويضهم الى الأبد . ولم يعد أحد فى انجلترا أو فرنسا أو هولندا يفكر فى محاكمة مجرم

(*) جريدة الاهرام فى ١٤ من سبتمبر سنة ١٩٦٤ .

حرب ، ولكن المسألة أصبحت تقليدا فى ألمانيا . وألمانيا لا بد أن تمضى فى ذلك تحت وطأة الاحساس بما اقترفته فى حق اليهود ، ولا بد أن تسدد حسابا لا ينتهى مع اسرائيل .

لقد بلغ هذا النوع من المحاكمات فى ألمانيا وحدها من سنة ١٩٤٥ حتى الآن (١٩٦٤) حوالى ١٢٠٠ محاكمة . والرقم فى زيادة مستمرة (*) . هذا فضلا عن المحاكمات التى تمت مع رعايا ألمان خارج ألمانيا ويقدر عددهم بحوالى أربعة آلاف .

محاكمات أم مسرحيات ؟

وقد تولى أمر هذه المحاكمات فريتز باور وهو المدعى العام فى مقاطعة هيس . وقد هرب باور من ألمانيا عام ١٩٣٦ ثم عاد اليها عام ١٩٤٩ . ومنذ ذلك الحين وهو يستغل الرأى القائل بأن خطر عودة النازية لا يزال قائما . وبسبب هذه الدعوة رقى فى السلك القضائى حتى وصل الى مركزه الحالى كمدير لادارة مجرمى الحرب فى ألمانيا . ولا يزال الناس يذكرون له تصريحه عام ١٩٦٣ بأن هتلر لو عاد الى ألمانيا لوجد الأرض ممهدة له أكثر مما وجدها نابليون عند هربه من جزيرة البا . ونتيجة لذلك أطلقت ألمانيا يده أكثر فأكثر فى مطاردة النازيين .

(*) منذ عامين تقريبا أفلح الضغط الصهيونى فى مد مهلة محاكمى مجرمى الحرب فى ألمانيا بموافقة البوندستاج الالمانى حتى عام ١٩٦٩ . ومع ذلك لم يعجب القرار المؤتمر اليهودى العالمى الذى استمر فى بروكسل عشرة أيام فى أول أغسطس سنة ١٩٦٦ وحضره مندوبون يهود عن ٥٧ دولة . فقد جاء فى توصيات المؤتمر « أنه يعرب عن قلقه لوجود اتجاه لنسيان الماضى » . وطالب السلطات الالمانية « باتخاذ اجراءات مشددة لمقاومة هذه الاتجاهات الخطيرة والغاء أى عائق قانونى أمام أية محاولة جديدة لمد مهلة محاكمة مجرمى الحرب النازيين بعد عام ١٩٦٩ » .

وفى ديسمبر عام ١٩٦٣ بدأت فى فرانكفورت محاكمة ٢٢ رجلا يقال انهم كانوا من حراس معسكر أوشفيتز . وقد صرح محامى الدفاع الدكتور لاترتسر بأن كل اجراءات المحاكمة غير قانونية ، وأنها تتعارض مع أبسط قواعد قانون المرافعات الألمانى ، ولكن أحدا لم يسمعه •

أما مدعى الاتهام فقد تولاه فريدريشى كاول الذى قرر منذ بداية كلامه أنه يهودى •

عصى الصهيونية فقتلته

فى قضية معسكر أوشفيتز تقدم للشهادة ٢٥٠ شخصا معظمهم محترفون ، أى أنهم شهدوا قبل ذلك فى قضايا مماثلة • ولا يستطيع أحدهم الادلاء الا بالشهادة التى أمليت عليه قبلها ، والا وجد نفسه بعد قليل فى قفص الاتهام •

ومن المتهمين الاثنين والعشرين لم يعترف بالجرائم التى وجهت اليهم الا اثنان ، أولهما هانزشتارك ، والثانى أوتو كلار ، ولم يقرر مع ذلك أى منهما أن أحدا من اليهود قتل بالغازات السامة ثم أحرق جسده • فقد اعترف كلار أنه قتل نفرا من المساجين بحقن الفينول ، ولكن المدعى العام باور أصر على أن يعترف أنه قتل بالغاز السام ألوف اليهود •

وكان بين المتهمين قومنداان فى معسكر أوشفيتز اسمه ريتشارد باير أنكر وجود غرف الغاز • ولكن باور أصر على رأيه ، وكان من المقرر أن تبدأ محاكمته فى ربيع عام ١٩٦٤ • ولكنه توفى فجأة يوم ١٧ ابريل • ودهش الناس ، فقد قررت زوجته أنه كان فى صحة طيبة حتى قبل وفاته بعدة أيام • وبعد فحص الجثة

قررت ادارة الطب الشرعى أن باير مات مسموما . والغريب أن جثة الرجل أحرقت بعد موته مباشرة ٠

وسر ذلك أن باير كان الوحيد الذى يستطيع أن يقرر ما اذا كانت غرف الاعدام قد استخدمت فى أوشفيتز ٠ ولاشك أنه كانت لديه بينات على أن أحدا لم يعدم بالغاز فى المعسكر ٠ فاذا ثبت ذلك ضاعت أسطورة الملايين الستة الذين أعدمهم النازيون ٠

أسطورة الملايين الستة

ترجع هذه الأسطورة الى ما قبل نهاية الحرب العالمية الثانية بل ان هذا الرقم قد حددته دعاية الصهيونية والحلفاء قبل أن تبدأ محاكمات نورمبرج !

ففى صـــفحة ٦٣٥ من المجلد ١١١١ من سجلات محاكمات نورمبرج قرر الشاهد فيلهلم هوتى أن آيخمان قال له انه قتـــل ستة ملايين يهودى ٠ وهوتى الذى روج هذه الأسطورة كان ضابطا فى فرق الهجوم الهتلرية وفى الوقت نفسه جاسوسا بريطانيا ، وقد نشر سلسلة مقالات فى مجلة « ويك اند » الانجليزية منذ ٢٥ يناير ١٩٦١ تحت عنوان « عميلنا فى فرق الهجوم » قرر فيها أنه كان يعمل فى فرقة الأمن الرابعة الهتلرية واشترك فى كل العمليات التى قامت بها قوات الأمن فى معسكرات الاعتقال ٠ ولكن محاكم نورمبرج برأت هوتى وحكمت بالاعدام على رئيسه المباشر كالتنبرونو ٠

والغريب أن البعض يقولون أن الضحايا اليهود بلغوا ٩ بل ١٢ مليونا ٠ وكلها أقوال بلا دليل ، لأن المانيا كلها لم يكن فيها هذا العدد من اليهود ٠ واحصاءات السكان فى المانيا من ١٩٣٩ الى ١٩٤٨ تؤكد ذلك ٠ والمهم أنه لم يذكر شاهد واحد فى قضية

فرانكفورت الحالية أن الاعدام بالغاز استخدم فى معسكر أوشفيتز بالذات • وقد أكد ذلك بول راسينييه قائد المقاومة السرية فى شمال فرنسا أيام الحرب عندما وقع فى يد الجستابو وسجن فى معسكر بوخنفالد ثم نقل الى معسكر دورا • وقد صار هذا الرجل نائبا فى البرلمان الفرنسى بعد ذلك • ولما كان من المؤمنين بضرورة تحالف الشعبين الفرنسى والألمانى ونسيان الماضى فقد دهش من كثرة الأساطير عن فظائع الألمان وأحس أن هذه الأكاذيب ليست من صالح التفاهم الذى يدعو اليه فنشر ذكرياته فى معتقلات النازية فى كتاب « أكذوبة أوليسيس » الذى طبع أكثر من عشر مرات بالفرنسية والألمانية والاسبانية •

دور القوات الأمريكية

وقد اتضح من محاكمات نورمبرج أن القوات الأمريكية التى احتلت ألمانيا كانت أول من روج هذه الأسطورة بايحاء من الصهيونية • فقد علق الأمريكيون لافتتين على شجرتين فى معسكر داخاو تقولان ان التراب الذى يحيط بالشجرتين يتكون من رماد ٢٣٨ ألف انسان •

وقد كذب ذلك الأب تويهاوزلر فى كتابه « هكذا كان الحال فى داخاو » عام ١٩٦٠ بعد أن قضى سنوات فى هذا المعسكر • وقد قرر هذا القس الكاثوليكى أنه لم تكن هناك غرف للاعدام بالغاز ولا أفران لحرق الجثث • وذكر أن الذين ماتوا فى المعسكر بلغوا ٢٨ ألفا ، وهو عدد هائل حقا ، ولكن لا معنى للمبالغة فيه • وأضاف أن ما يشاهد الآن من بقايا الأفران انما قام بانشائه الأسرى من فرق الهجوم النازية بأمر الأمريكيين بل وتحت تهديدهم •

وعند محاكمة هويس الذى كان مديرا لمعسكر أوشفيتز حتى ديسمبر ١٩٤٣ قرر فى محاكمات نورمبرج أنه قضى بالغاز السام على ٢ر٥ مليون يهودى في المعسكر • ولكن اتضح بعد ذلك أنه كذب ، لأنهم وعدوه بتخفيف الحكم اذا قرر أنه قتل أكبر عدد من اليهود ، وأوشفيتز لا تقع فى أرض ألمانية بل بولندية • وكان الروس هم الذين استولوا على الموقع • ومع أن اليهود أنفسهم يقولون ان القوات الألمانية نسفت غرف الاعدام بالغاز قبل انسحابها (وهو ما قرره ليون يوريس فى روايته « الخروج ») فان النـاس شهدوا غرفا من هذا النوع بعد استيلاء الروس على الموقع • وقد حكم بالاعدام على هويس ثم خفف الى السجن مدى الحياة • والمهم أن الرجل كتب فى السجن مذكراته وقال فيها انه لم يقتل هـذا العدد ولا قريبا منه .

شهادة دائرة معارف المانية

وأبسط ما يدحض دعوى الصهيونية ما قالته دائرة معارف بروكهاوس الألمانية من أنه اذا كان النازى قد أعدموا ستة ملايين يهودى وأحرقوا جثثهم فان الأفران الخمسة المزعومة فى معسكر أوشفيتز لا بد أن تكون قد عملت باستمرار حتى سنة ١٩٦٤ حتى تحرق هذا العدد الهائل •

واليهود أنفسهم أحيانا لا يصدقون هذا الكلام ، وبعضهم يستنكره • فقد كتب أمريكى يهودى اسمه الدكتور ليستوبيفسكى فى مجلة « ذى بروم » (المكنسة) التى تصدر فى سـان دييجو بكاليفورنيا أنه كخبير احصائى يقرر ان عدد اليهود الذين اختفوا من ألمانيا الهتلرية يتراوح بين ٣٥٠ ألفا ونصف مليون وهو رقم هائل حقا يجعلنا ــ كعرب ــ نستنكر النازية وجرائمها الوحشية ، ولكن المبالغة فيه ــ كما يقول ليستوبيفسكى ــ أمر مخجل •

وقد ذكرنا فى موضع آخر من هذا الكتاب أن يهوديا ألمانيا اسمه بورج قد ذكر فى كتابه « الجريمة والمصـــير » أن حاييم وايزمان قال للورد اللنبى الذى احتل فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى : « اننى أفضل أن يفنى كل اليهود الألمان على التنازل عن أرض فلسطين » .

ولما كان بورج اليهودى أعرف من غيره بأساليب الصهيونية فقد قال فى خاتمة كتابه المذكور : « اذا أصابنى شىء فستنشر فى الحال مذكراتى ووثائقى التى أودعتهـــا لدى أياد أمينة فى سويسرا .

ولم يقدم أحد على الاعتداء عليه طبعا خوف العواقب .

* * *

وأخيرا فان احصائيات اليهود قبل الحرب العالمية الثانيـة وبعدها لها الكلمة الأخيرة فى الموضوع .

ذكر كتاب التقويم السنوى اليهودى لسنة ١٩٤٧ أن عدد اليهود فى العالم كان حوالى ١٥٫٥ مليونا . فاذا صدقنا الدعاية الصهيونية وطرحنا ستة ملايين قتلهم هتلر فيبقى من الاحياء بعد الحرب ٩٫٥ مليونا . ولكن عددهم اليوم باعتراف جريدة النيويورك تايمز يبلغ نحو ١٥٫٥ مليونا . ومن غير المعقـــول أن يتضاعفوا تقريبا فى غضون عشرين عاما ، خصوصا اذا عرفنا أن نســـبة الزيادة الطبيعية بين اليهود (١٩ فى الألف فى اسرائيل (*)) من أقل النسب المعروفة فى العالم كله . وحتى لو أخذنا بما تروجه الاحصائيات الحديثة من أن عدد اليهود عام ١٩٦٦ بلغ ١٣٫٤ مليونا فمن المستحيل تماما أن يزدادوا خلال هذه الفترة بنسبة ٤٠٪ تقريبا .

(*) عام ١٩٦٥ بلغت نسبة المواليد فى اسرائيل ٢٤ فى الالف والوفيات ٥ فى الالف .

الفصل الثامن

حقيقة « اللاجئين » اليهود

من الغريب انه كلما أثار العرب القضية الانسانية لمليون لاجيء فلسطيني ونيف في المحافل الدولية ، دفع الصهيونيون بحجة معاكسة هي وجود مليوني يهودي لاجيء لم يجدوا لهم ملاذا وملجأ غير اسرائيل .

وأكثر ما يركز عليه الصهاينة (منذ عدوان ١٩٥٦ بالذات) اللاجئون اليهود من الدول العربية ، فهم يقولون ان نصف مليون من اليهود العرب قد ارغموا على الخروج عنوة من مصر والجزائر والمغرب وغيرها والهجرة الى اسرائيل كيلا يكونوا طابورا خامسا خلف صفوف العرب .

طابور خامس ؟

أما وان كثيرا (ولا أقول الغالبية) من يهود البلاد العربية طابور خامس فامر لا جدال فيه ، تؤكده كثرة اليهود المحليين الضالعين في شبكات التجسس الاسرائيلية والاوروبية ، التي تم اكتشافها . أما وان جميع (أو حتى معظم) اليهود النازحين من البلاد العربية قد فعلوا ذلك تحت الضغط والقسر ، فأمر تنفيه شواهد كثيرة .

* ان معظم اليهود الذين رحلوا عقب العدوان الثلاثي الأول كانوا

يتمتعون بحماية وجوازات سفر بريطانية وفرنسية ، أما الباقون فقد سافروا من تلقاءأنفسهم أو لشبهات حولهم بينما بقى كثيرون ممن يتمتعون بالجنسية العربية .

* ان الفيلسوف الفرنسى اليهودى ماكسيم روديسون قد اعترف بأن الرئيس عبد الناصر يقابل الحاخام الأكبر فى مصر بصفة منتظمة للتعرف على مشاكل الأقلية اليهودية .

* من المسلم به ان المنظمات الصهيونية تبذل كل وسائل الضغط والتهديد والاغراء لحث اليهود على الهجرة الى اسرائيل من جميع انحاء العالم عامة ، والدول العربية خاصة . ويكفى لتأكيد ذلك ما قاله بن جوريون منذ عدة سنوات بأن « جميع اليهود الذين يعيشون خارج أسرائيل ملحدون ! » .

وغنى عن الذكر أن الصهيونية كانت أحيانا كثيرة تستعمل سلاح التهديد بالفضيحة والقتل خلال ربع القرن الماضى لتهجيرهم عن طريق النمسا وغيرها .

وكثيرون جدا من ضحايا النازى كانوا يريدون الهجرة الى امريكا ولكن الصهيونيين رفضوا مساعدتهم على الهجرة الا اذا هاجروا الى فلسطين .

أما فى الدول العربية ، فقد بلغت المؤامرة أقصاها .. لأن اسرائيل قد وجدت عقب توقف هجرة ـ يهود أوروبا والدول الشرقية وأمريكا فى نهاية الخمسينات ان الأمل الوحيد معلق على هجرة يهود البلاد العربية (رغم تحفظاتها الكثيرة نحوهم من حيث قلة الرقى والنشاط والذكاء ومعاداة الاشكناز والسفارديم لهم) لتلافى الفشل المريع الذى لقيه مخطط الهجرة الذى يهدف الى رفع عدد المهاجرين الى اسرائيل عام ١٩٧٠ الى خمسة ملايين (تعداد اسرائيل الحالى وحده نصف هذا الرقم تقريبا) .

* من أوائل من فضحوا هذا المخطط الكاتب الامريكي كلارنس كولمان عام ١٩٦١ حين نشر مقالا هاما فى مجلة « قضـايا » التى يصدرها المجلس الامريكى اليهـودى (وهـو مناهض للصهيونية) وشرح فيه محنة يهود المغرب على يد الصهيونية العالمية ٠

قال كولمان : « لقد استغل جامعو التبرعات فى جمعيـة النداء اليهودى المتحد هجوم الصـهيونية مؤخرا على الحكومة المغربية ٠ فقد طالب الصهاينة بهجرة معظم اليهود الباقين فى المغرب البالغ عددهم مائة ألف (من أصل نحو ٢٥٠ ألفـا هاجر معظمهم قبل ذلك الى اسرائيل ولم يبق منهم اليوم غير ٥٠ ألفا) ٠ وهذا من شأنه تنفيذ المخطط الصهيونى فى جمع كل اليهـود داخل اسرائيل كما أن من شـأنه تدعيم الحجة الصهيونية بأن اليهود خارج اسرائيل ليسوا فى أمان ولا بد من « انقاذهم » عن طريق الهجرة ، فضلا عن انه يزود اسرائيـل بالأيدى العاملة وبمأسـاة جديدة تفتت القلوب وتنفع جامعى التبرعات للصهيونية ٠ وقد نظمت الحملة الصـهيونية بحيث تثير المتاعب ليهود المغرب ٠٠ تلك المتاعب التى استغلتهـا الصهيونية دائما ـ وهذا من سخرية القـدر الصهيونى عبر التاريخ ـ لخدمة أهدافها ٠ » ٠

وماذا عن موقف اليهود أنفسهم ؟ هنا يقول كولمان : « لقد أبدى معظم يهود المغرب مع ذلك معارضـتهم للصـهيونية ولمخططها فى تحريضهم داخل البـلاد ٠ وقد تقبلوا بسرور العهد الملكى بالعمل على تكافؤ الرعوية والفرص لهم مع سائر المواطنين ٠ وليست هناك اساءة ليهود المغرب أبلغ من محاولة الجماعات الصهيونية الأجنبية (والتى تسيرها القدس ونيويورك)

القضاء على هـــذه الخطوات المبكرة ــ المترددة أحيانا ــ التى تتخذها دولة المغرب الناشئة للمساواة بين جميع المواطنين ».

ومع ذلك كله يجرؤ الصهيونيون على المقارنة بين اللاجئين الفلسطينيين العرب والمشردين عديمى الجنسية واللاجئين اليهود الذين غررت بهم اسرائيل الى حد التهديد كى يصبحوا مواطنين اسرائيليين مستقرين صالحين يستولون على بيوت وأراضى أولئك الذين عاملوهم كاخوان طوال ثلاثة عشر قرنا .

الفصل التاسع

القرابة المسيحية اليهودية بين الاسطورة والواقع

من أخطر المزاعم الدعائية الصهيونية التى يواجهها العربى فى الخارج حجة صهيونية تستغل القرابة الروحية بين المسيحية واليهودية على نطاق واسع رغم ما قام به اليهود من تزييف رهيب لنصوص التوراة أو العهد القديم من الكتاب المقدس ، وعدم اعترافهم بالمسيح والعهد الجديد (الاناجيل الاربعة) •

ولعل خير دليل على محاربة الصهيونية واليهودية للمسيحية ما كتبه صهيونى تائب هو الأب الامريكى همفرى والتز الذى كرس حياته لخدمة اللاجئين من جميع انحاء العالم وخاصة المهاجرين اليهود الى فلسطين بوصفه عضوا كبيرا فى الهيئة الأمريكية المسيحية الفلسطينية التى اسستها الصهيونية العالمية لإستغلال المسيحيين فى أمريكا •

ولم يصبح الأب والتز من اصدقاء العرب المخلصين الا بعد ان عرف محنة المسيحية فى اسرائيل •

استقالات غامضة

يقول الأب والتز انه كان يقرأ فى الصحف الامريكية المأجورة الكثير عن الخدمات الجليلة التى تؤديها الهيئة الامريكية المسيحية الفلسطينية • وقد حدث أن رأى صورة منشورة للمطران حكيم فى حيفا وهو يبارك افتتاح خط جديد للمياه الى قرية عربية فى

الارض المحتلة فآمن بمعاملة اسرائيل « الانسانية » لعرب فلسطين الى ان أتيحت له فرصـة مقابلة المطران حكيم نفسـه فى حيفا .. وهناك أخبره المطران بأشياء نزلت على رأسه كالصاعقة .

لقد قال له المطران ان عـدد المترددين على الكنائس للصـلاة يتدهور بسرعة نتيجة للارهاب اليهودى ، وان أراضى المسـيحيين العرب تصادر ، وان منازلهم واحيانا قراهم ، تهدم عن بكرة ابيها دون سبب ، وان قبور الكاثوليك فى حيفا قد نبشها اليهود عام ١٩٥٦ ، وأنهم احالوا بعض الكنائس الى اسطبلات وثكنات عسكرية وانهم لايستطيعون الانتقال من بلدة الى أخرى ولو للعلاج الا بصعوبة بالغة ، وان الحكومة تشجع روح الاحتقار ضد المسيحيين والمسلمين على السواء .

ونشر الأب والتز تصريح المطران حكيم فى أمريكا ، وسرعان ما وجد نفسه فجأة هدفا لغارات عنيفة من ثلاث جبهات : السفارة الاسرائيلية فى واشنطن ، والممولين الصهيونيين ، وجهة ثالثة لم يتوقعها اطلاقا وهى الهيئة الامريكية المسيحية لفلسطين نفسها التى اتهمته بالخيانة والتزييف .

لقد ذهب كثير من رجال الدين الامريكى ضحية هذه الهيئة ثم تركوها بعد وقت طال أو قصر ، دون ان يعرف الرأى العام الامريكى سبب استقالتهم ، الى ان وجد أحد اعضائها السـابقين الشـجاعة ليقول على الملأ : « لقد اكتشفت ان القضية الصهيونية تعمل ضد المسيحية . ولقد رحت ضحية لها كما سيذهب كثيرون غيرى ضحية لها فى المستقبل ، لأن الصهاينة دهاة فى فن الدعاية .

وعندما اتذكر مئات المرات التى منع فيها مئات الامريكيين من زيارة المطران حكيم فى حيفا أتساءل فى سخرية : ترى هل كان كل هذا يحدث لو كانت اسرائيـل حقا « معقل الديموقراطية » فى الشرق الاوسط كما تقول صحيفتنا المسكينة كل يوم ؟ »

فطائر من دماء النصارى

ان التلمود والتوراة تحفلان بنصوص كثيرة جدا حول احتقار اليهود للطوائف الدينية الأخرى من الأمميين الكفار (الجوييم) واهدار دمهم وحقوقهم وممتلكاتهم٠٠كما ان الانجيل يحفل بنصوص كثيرة حول وحشية وخيانات اليهود ، والمصير التعس الذى ينتظرهم نتيجة ذلك ٠

ولكن العبرة الحقيقية بما قام به اليهود فعلا ضد المسيحية قديما وحديثا ، والشواهد على ذلك كثيرة ٠

١ ـ ما أكثر ما صنع اليهود والمتدينون فطيرة «عيد الفسح»(*) وعيد البوريم من دماء المسيحيين قبل المسلمين ٠ وكان السحرة القدماء من اليهود يستخدمون دم الانسان لاتمام طقوسهم ٠ والتلمود نفسه يقول باستطاعة الانسان في بعض الأحوال « قتل الشياطين اذا أجاد صنع فطير عيد الفسح » لارضاء الاله يهوه ٠ وذبائح عيد الفسح عادة من الأولاد تحت العاشرة ، اما ذبائح البوريم فمن البالغين ٠ وتستنزف دماء الضحايا اما بالذبح أو قطع الشرايين أو تصفية الدم داخل برميل مغروز بالابر المجوفة ، ثم يخلط الدم ، سائلا أو مجففا ، بعجين الفطائر ويحفظ ما تبقى للعيد المقبل عند الحاخام الأكبر غالبا ، ولا يعطى الا للاتقياء ٠ وكان اليهود فى الماضى يفضلون دم المسيحى باعتراف الكاتب الانجليزى آرنولد ليز الذى ذكر فى كتابه « جرائم الطقوس اليهودية » تفاصيل ٥٩ حالة استنزاف دماء مسيحيين (معظمهم من الأطفال) بين عامى ١١٤٤ ـ ١٩٣٢ فى بريطانيا وفرنسا وأسبانيا

(*) عيد الفسح عند اليهود (١٤ نيسان) هو ذكرى خروج اليهود من مصر بقيادة موسى ، اما عيد الفصح عند المسيحيين فهو ذكرى صعود المسيح ، والتوقيت بين الاثنين كثيرا ما يختلف ٠

وروسيا وألمانيا وسويسرا (كان فى الحى اليهودى فى برن تمثال ليهودى يأكل طفلا) وايطاليا وبولندا والمجر وبوهيميا ٠ وقد نصب عدد من الاطفال الضحايا قديسيين (مثل القديس وليام وسيمون وريتشارد) واعدم عدد كبير من اليهود لقاء ذلك وان نجح المال والنفوذ اليهودى فى العفو عن عدد كبير حتى فى أيام محمد على ٠

أما فى العالم العربى والشرق الاوسط ، فنحن نعرف احدى عشرة جريمة دموية من هذا النوع حدثت بين عامى ١٨١٠ ــ ١٨٤٠ فى حلب وحماه وبيروت وانطاكية وطرابلس ورودس وجزيرة كورفو اليونانية وكانت افظع هذه الجرائم ذبح الاب القسيس توما وخادمه ابراهيم عمار سنة ١٨٤٠ الذى عرف باحسانه وتسامحه الفائق وقد صدر الحكم باعدام عشرة من اليهود بعد اعترافهم ، ولكن المليونير اليهودى مونتفيورى تدخل لدى محمد على والى مصر فألغى الحكم ٠

ولم تنقطع جرائم الاعياد اليهودية حتى اليوم ، وكان آخرها عام ١٩٦٤ حين استنزف اليهود دماء عدد من الاطفال فى كولومبيا وقبل ذلك بعام ذبح طفل روسى على يد اليهودى نيكولا تحموفيتش فى مقاطعة جوزينية بالاتحاد السوفيتى ٠

وجميع هذه الجرائم فى الغرب والشرق كان كل ضحاياها من المسيحيين دون استثناء ٠ وغالبا ما كان اليهود يقومون بختان الضحية قبل تصفية دمها من قبل الطهارة ٠ وهناك تفسير تاريخى آخر وهو ان اليهود فى العهود القديمة كانوا يتخذون الضحايا من ابنائهم ثم عدلوا عن ذلك بعد ظهور المسيحية ، فوجدوا ان من الأوفر ذبح المسيحيين ثم اجراء طقوس تهويدهم ٠ وربما كان الختان جزءا من هذه الطقوس ٠

مذابح اليهود ضد المسيحيين

ويقول ليز ان كثرة تكرر هذه الجرائم في القرن الثالث عشر في انجلترا هي التي دفعتالملك اداورد الاول عام ١٢٩٠ الى اصدار قراره التاريخي الذى طرد اليهود بموجبه من بريطانيا لمدة أربعة قرون • كما اصدر ملك اسبانيا عام١٤٩٢قرارا مماثلا بعد أن ذبح اليهود الطفل كريستوفر عام ١٤٩٠ واعدم ثمانية من اليهــود واشتركوا في الجريمة •

٢ — اعترف اليهود في كتابهم « سدرحاد ووروت » بأن الحاخام يهودا هو الذى دفع صديقه امبراطور روما الى قتل كل النصارى فيها عام١٥٥وان اليهود هم الذين حرضوا الامبراطور ماركوس — اوريليوس على قتل كل نصارى روما في عهــده • وفي عام ٢١٤ يعترف الكتاب بأن اليهود قتلوا ١٠٠ الف مسيحي في روما ، وكل نصارى قبرص • كمــا قتلوا في عهد البابا كليمـــان « جملة من النصارى كرمال البحر » في روما وخارجهــا ، وقتــل الامبراطور ديوكليسين (بايعاز من اليهود) البــابوات كاييس ومرسلينوس وأخ كاييس المذكور واخته روزا •• كما ذبح اليهود في عهد الحاخام عقيبا (أبو السنة التلمودية) ٢٠٠ الف مسيحي في ليبيا و ٢٤٠ الف مسيحي ووثني في قبرص •

تدمير الكنائس والارساليات

٣ — في هذا القرن شن اليهود هجمات كثيرة على رجال الدين المسيحي وكنائسهم ومدارسهم وارسالياتهم في اسرائيل بحجة انهم « طابور خامس » رغم ان عدد طلاب الارســاليات ضــئيل جدا (٩٠٠ طالب) ولكن الحقيقة جاءت على لسان رئيس وزراء اسرائيل حين قال ان الارساليات تضر باسرائيل •

ومن المعروف ان معظم المسيحيين العرب فى فلسطين قد صمدوا فيها بعد قيام اسرائيل ، على أمل ان اسرائيل ستجد نفسها مجبرة على احترام العالم المسيحى وهكذا ما ان جاء عام ١٩٤٨ حتى كان فى فلسطين ٢٠٠كنيسة والف قسيس ونحو ٥٥ الف مسيحى ولكن فى تلك السنة بالذات حدثت عمليات قصف وتدمير ونهب واسعة النطاق تناولت ٤٥ كنيسة (بما فى ذلك ارسالياتها ومدارسها) تابعة لعشرات الدول المسيحية الاجنبية ٠

وقد احيل بعض هذه الكنائس الى ثكنات عسكرية وبعضها الى صالة للرقص (نوتردام دوفرانس) ودمر البعض الآخر تماما (دير راهبات القربان المقدس) وتعرضت كنائس أخرى للقصف أربعة أيام متوالية فى مايو ١٩٤٨ (دير الفرنسيسكان ومقر بطريركية اللاتين) ٠ وقد نهبت جميع هذه الكنائس تقريبا مثلما نهبت مخطوطات ونفائس دير سانت كاترين عام ١٩٥٦ خلال العدوان الثلاثى ، هذا فضلا عن هدم المقابر المسيحية الاثرية على جبل صهيون بالقدس واحتلال معظم الاديرة ٠

حرق الانجيل فى الشوارع

٤ ــ تكررت هذه الاعتداءات فى سنوات السلم التالية فقد نشبت قبور الكاثوليك فى حيفا عام ١٩٥٦ وسارت مظاهرات يوم الجمعة الحزينة شتتها رجال الامن ٠وقبل ذلك وبعده هاجم المتظاهرون اليهود دير القديس يوسف الكاثوليكى ومدرسة الارساليات الفنلندية فى القدس ومدرسة الكنيسة الاسكتلندية فى يافا وضربوا التلاميذ الاطفال فيها ٠٠ ثم امتدت اعمال العنف فشملت مدارس الارساليات الفرنسية والبريطانية والفنلندية فى المدن الأخرى وحطموا أثاثها ومزقوا كتبها ، واتجه فريق من المتظاهرين الى مقر بطريركية الروم الكاثوليك واعتدوا على المطران جورج حكيم فى حيفا

ووجهوا اليه الفاظا نابية حسب نص تقرير اسرائيلي • كما اعترفت جريدة هاآرتسى الاسرائيلية (١٦-١٠-١٩٦٢) بأن اليهود احرقوا الكتب الدينية المسيحية فى يافا وتل أبيب علنا فى الشوارع فى مهرجان كبير •

وبالطبع استغلت اسرائيل ، كعادتها ، هذه الفرصة لتلبية رغبات الرأى العام تطوعا منها ، فأصدرت فى مارس ١٩٦٤ قانونا يحرم على اليهودى تغيير ديانتـه دون موافقة كتـابية من والديه أو الوصى عليـه ، أو من المحكمة فى حالة عـدم وجـود والديه أو انفصالهما • وهذا القانون فريد من نوعه فى العـالم ، وفى القرن العشرين بالذات •

هجرة المسيحيين الى حد الانقراض

٥ ــ نتيجة لذلك صار المسيحيون العرب يؤدون شعائر الصلاة سرا ويهاجرون على نطاق واسع حتى تنبـأ المطران جورج حكيم فى تصريح نشرته جـريدة جـويش بوسـت (٢/١٠/٦٤) بأن « اذا استمرت هجرة المسيحيين على معدلها فلن يبقى منهم واحد خلال ١٥٠ سنة » • وأكدت جريدة على هامشمار هذه الحقيقة فقالت فى يونية ١٩٦٦ بأنه « اذا لم تحدث تغييرات فى سياسة اسرائيل تجاه الاقلية المسيحية تؤكد مساواتها مع اليهود فستجد نفسها مضطرة الى ترك اسرائيل والهرب منها نهائيا » •

ولم تسلم من هذه المعاملة أية طائفة دينية سـواء كانت من الـكاثوليـك (وهم الغـالبيـة) أو من الارثوذكس أو الـلاتين أو البروتستانت أو الارمن أو الموارنة •

٦ ــ فى عام ١٩٦٢ طلب الأب دانيل المترهب فى دير الكرمل على سفح جبل حيفا استخراج جواز سفر له • وكان الاب دانيل

يهوديا بولنديا يعمل في المقاومة السرية فى بلاده خلال الاحتلال النازى. ولما طارده البوليس لجأ الى دير كاثوليكى حتى انتهاء الحرب واعتنق الكاثوليكية اعترافا بالجميل ، ثم هاجر الى فلسطين قبل قيام اسرائيل • وعندما اكتشفت السلطات الاسرائيلية ذلك رفضت اعتباره يهوديا وأصدرت قرارها التاريخى فى ٦ ديسمبر ١٩٦٢ بأن اليهودى الذى يغير دينه لا يمكن قبول طلبه للحصول على الجنسية ، رغم أن قانون الهجرة لعام ١٩٥٥ يمنح الجنسية لاى يهودى يهاجر لاسرائيل بمجرد وصوله •

وقد أثار موضوع الاب دانيل ضجة فى الخارج حتى كتبت عنه مجلة تايم الامريكية • ولكن الدعاية والذهب أسدلا الستار على القصة سريعا •

هل أنا يهودية أم المانية ؟!

٧ ــ أغرب من ذلك ما حدث للسيدة ريناعيتانى مستشارة حزب الماباى الحاكم فى الناصرة • وقد قالت مجلة تايم (١٢ فبراير ١٩٦٥) أن السيدة ريتا كانت « واحدة ممن هربوا من الحى اليهودى فى وارسو الى فلسطين عام ١٩٤٧ • ثم التحقت بمستعمرة جماعية (كيبوتز) ، وخدمت فى الجيش الاسرائيلى وربت ابنها تربية يهودية • ورغم انها لم تكن متمسكة بالدين تماما فقد كانت تحتفل بالاعياد اليهودية الهامة فى منزلها • ولكنها لم تكن يهودية بما فيه الكفاية فى نظر وزارة الداخلية • ورغم أن والدها يهودى بولندى ــ كما تعترف الوزارة ــ الا أن أمها المانية بروتستانتية • وبموجب الشريعة (الهلاشا) لا يكون المرء يهوديا الا اذا كانت أمه يهودية أو اعتنق اليهودية •

ولهذا فان الوزارة ترى أن منحها جواز السفر يتوقف على

التحقق « من صحة رعويتها » ، وان عليها أن تختار بين اعتناق اليهودية رسميا أو التجنس بالجنسية الاسرائيلية كمواطنة غير يهودية » .

وتضيف المجلة قائلة بأن مشكلة رينا وهل هى يهودية أم لا قد تطورت الى مناقشة عمت كل اسرائيل . « والذى يجعل المشكلة بهذه الحساسية انها تنفذ الى أعماق شخصية اسرائيل الفصامية كدولة حديثة متدينة تتأثر قوانينها كثيرا بمجوعة قليلة من اليهود المتشددين كثمن لبقائهم مع حزب الماباى فى وزارة ائتلافية .. وحتى تصدر الحكومة قرارها ستظل السيدة عينانى مجهولة الهوية لا يعرف أحد هل هى اسرائيلية أم المانية أم بولندية أو عديمة الجنسية . ولا يزال أولادها موضع الاستهجان .. بل أن المتعصبين من يهود الناصرة وزعوا منشورات ضد « الاجانب المتسللين الى صفوفنا » .

فولبرايت يكشف تقريرا سريا

مع ذلك كله يبلغ النفوذ الصهيونى اقصاه بين رجال الدين المسيحى ، خاصة فى أمريكا . وقد أورد السناتور الامريكى فولبرايت في تقريره المشهور عن الوكالات السياسية والثقافية الاجنبية فى الولايات المتحدة منذ عدة سنوات نص التقرير السنوى للمجلس الصهيونى الامريكى المؤلف من ١٢ بندا وأورد أنه كان فى البند الثالث حديث عن « خلق قيادات دينية فى مراكز حساسة ، واقامة ندوات عن اسرائيل لرجال الدين المسيحيين ، واثارة مقالات ايجابية فى صحافة البروتستانت والكاثوليك (لصالح الصهيونية)، والعمل المضاد لكل حديث عدائى فى تلك الصحافة ، ثم اعادةطبع مقالات معينة .. الخ » . ولم يتصور المجلس أن تقريره سيقع فى يد فولبرايت .

والحديث عن كثرة جمعيات الصداقة اليهودية المسيحية حديث معاد ، ويكفي أن نذكر أن المجلة الدينية الوحيدة المتخصصة في شئون الشرق الاوسط في الولايات المتحدة وهي مجلة «لاندريبورت» (وهي توزع بكثرة بين جميع رجال الدين المسيحي في أمريكا) يحررها ويمولها المجلس الصهيوني الامريكي ، وتوزع وفق قوائم البريد التي يعدها المجلس . وهذا الكلام مأخوذ بالنص من تقرير فولبرايت .

وحينما كشف الأب والتز حقيقة الهيئة الامريكية المسيحية الفلسطينية ، سئمت من اخفاء نفسها فغيرت مؤخرا اسمها وجعلته صراحة « الرابطة الامريكية المسيحية لاسرائيل » . وللتغيير دلالته الكبرى ، فهو يحول هدف الجمعية من خدمة المسيحية في فلسطين الى خدمة اسرائيل أو على الاقل خدمة المسيحية داخل اسرائيل وحدها من دون سائر أجزاء فلسطين الاصلية ، وكأن القدس العربية ليست مقدسة لدى المسيحيين وليست فيها معظم المقدسات المسيحية .

لقد كان سرجي نيلوس الذي كان أول من ينشر كتاب البروتوكولات ١٩٠١ يتطير شرا من هول مؤامرات الكتاب على العالم المسيحي ، فكتب في مقدمة الكتاب : « انى لاشعر من الاعماق أن الساعة قد حانت لدعوة المجمع المسكوني الثامن ليجتمع فيه رعاة الكنائس وممثلو المسيحية عامة ، ناسين المنازعات التي مزقتهم طوال قرون كثيرة ، كي يواجهوا أعداء المسيح » .

ولو طال العمر بنيلوس المسكين ليرى انعقاد المجمع فعلا عام ١٩٦٢ وقد تحكم فيه اليهود الى حد اصدار وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح ، لمات غيظا وكمدا ! .

الفصل العاشر

تزييف مأساة النزوح

قلما تشير الصهيونية حاليا الى قضـــية اللاجئين (معظم الغربيين لا يعرفون ان هناك لاجئين) واذا حدث أن فعلت ذلك ، حملت العرب المسئولية الكاملة عن ضياع فلسطين ، فالدول العربية هى التى طلبت من عرب فلسطين الالتجاء الى الدول العربية المجاورة خلال معركة عام ١٩٤٨ ٠ وقد أصدرت وزارة الخارجية الاسرائيلية عام ١٩٦١ كتابا كاملا تحمل العرب فيه مسئولية تشرد اللاجئين الفلسطينيين ، واستشهدت على ذلك بمقتطفات من الصحف العربية تقول ان الدول العربية هى التى طلبت من عرب فلسطين أن يتركوا ديارهم مؤقتا حتى يفسحوا الطريق للجيوش العربية الداخلة ٠

لم يجد تسجيلا واحدا

والرد على هذه الحجة فى غاية البساطة :

أولا : ذهب الكاتب البريطانى النزيه ارسكين تشيلدرز الى اسرائيل نفسها وطلب من حكومتها أن تعرض عليه التســجيلات الصوتية للبيانات العسكرية التى زعمت اسرائيل ان اذاعــات الدول العربية كانت تطلب فيهـــا من عرب فلســطين اللجوء الى الأقطار العربية المجاورة ٠ ولكن الحكومة الاسرائيلية ظلت تسوف وتعد وتماطل حتى عاد دون أن يسمع أى تسـجيل ٠ وقد تأكد

تشيلدرز من كذب ادعاء اسرائيل حين راجع جميع التسـجيلات الصوتية التى سجلها قسم الاستماع براديو لندن للبيـانات التى كانت تذيعها اذاعات الدول العربية فى تلك الفترة فلم يجـد منها أى شريط يؤكد زعم اسرائيل ٠

ثانيا : راجعت مقتطفات الصحف العربية عام ١٩٤٨ التى يأخذها الكتاب الاسرائيلى كحجة فوجدت انها جميعا تقول ان الدول العربية طلبت من عرب فلسطين ترك ديارهم والالتجاء الى مناطق آمنة ٠٠ وكانت تعنى بذلك أن يتركوا قراهم ومدنهم ويلجأوا الى مناطق أخرى أكثر أمنا داخل فلسطين نفسها وليس خارجها ٠ ولم أجد فى أية قصاصة من الصحف العربية سطرا واحدا يقول ان الدول العربية قد طلبت من عرب فلسطين الالتجـاء خارج فلسطين ٠ وقد استغلت اسرائيل كلمة « الديار » (Home) ذات المعنى المزدوج بخبث بالغ فاستعملتها على انهـا تعنى ترك الوطن كله بينما كانت لا تعنى سوى البيوت والمدن ٠

ثالثا : خير دليل على ذلك هو أن معظم اللاجئين الفلسطينيين لا يزالون موجودين داخل أرض فلسطين الأصلية ٠٠ ففى الضفة الغربية وداخل الأرض المحتلة وقطاع غزة أكثر من مليون ونصف مليون من عرب فلسطين ٠٠ بينما لا يزيد عدد اللاجئين خارج أرض فلسطين عن ثلث هذا العدد على أكثر تقدير ٠ ومعنى هذا ان معظم أبناء فلسطين لم يتركوا وطنهم فعـلا ٠ حتى بعـد غزو اسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة ، اذ لم يزد عدد النـازحين اللاجئين منهما بحد السلاح فى العدوان الثلاثى الجديد عن ٢٥٠ ألفا ٠

رابعا : تبدو مسئولية اسرائيل واضحة فى أن هجرة عرب فلسطين عن ديارهم وبيوتهم كانت نتيجة الارهاب والمجازر وقنابل النابالم الاسرائيلية خلال أعوام ١٩٤٨ و ١٩٤٩ و ١٩٦٧ ٠ وقد كان الكتاب الاسرائيلى نفسه من الغباء بحيث نشر وثيقـة الأمم

المتحدة رقم ٢٠١ تقول بالحرف الواحد : « لقد شرع اليهود فى احتلال القرى والمدن العربية واحدة بعد الأخرى وطرد سكانها من المسلمين والمسيحيين على السواء قبل ١٥ مايو عام ١٩٤٨ بوقت طويل وحين لم يكن فى فلسطين جندى عربى نظامى واحد » •

حجج أخرى ضد اللاجئين

بيد أن هناك حججا أخرى تسوقها الصهيونية ضد اللاجئين وسنورد كلا منها على حدة ، مع الرد عليها :

١ ـ أن مشكلة اللاجئين « العرب » كانت نتيجة الحرب التى شنها العرب ضد اسرائيل •

والرد على ذلك أن الكتاب نفسه قد اعترف بأن وثيقة الأمم المتحدة التى سبق ذكرها قد شهدت بأن اليهود قد بدأوا فى احتلال المدن العربية قبل دخول الجيوش العربية بوقت طويل • وحتى لو فرضنا أن عرب فلسطين فقط هم الذين بدأوا الحرب قبل دخول الجيوش العربية فى ١٥ مايو ، فقد كان ذلك نتيجة قرار التقسيم الجائر الذى صدر دون استفتاء أو مراعاة لحق الشعوب فى تقرير المصير (حسب ميثاق الأمم المتحدة نفسها) ، هذا فضلا عن أن التقسيم نفسه قد أعطى اليهود حين كانوا يشكلون ثلث مجموع السكان فقط حوالى ٥٦٪ من مساحة فلسطين وأجود الأراضى فيها ، مع منافذ ضيقة جدا على الساحل للعرب •

٢ ـ العرب يبالغون كثيرا فى عدد اللاجئين من فلسطين ، خصوصا وأنه كان بينهم كثيرون من العمال الموسميين من حوران ولبنان والأردن (الضفة الشرقية) يعملون فى ميناء حيفا وفى بيارات البرتقال وغيرها ، مما أدى الى عدم دقة احصاءات السكان الحقيقيين فى فلسطين قبل عام ١٩٤٨ •

والرد على ذلك أن عدد هؤلاء العمال الموسميين كان قليلا جدا بالنسبة الى السكان الاصليين وقد اعترف تقرير اللجنة الملكية لفلسطين فى يوليو عام ١٩٣٧ أن عدد الوافدين مثلا من حوران كل عام يتراوح بين ١٠ ـ ١١ ألفا يعودون بعد نهاية الموسم الى بلادهم ، أما اللبنانيون والأردنيون فأقل من ذلك • وكان جميع هؤلاء يدخلون البلاد خلسة ، ومعنى ذلك أنهم عقب الهجرة لم يكونوا يحملون مستندات رسمية تثبت أنهم لاجئون أو حتى فلسطينيون ، كى ينالوا اعانة من وكالة الاغاثة ، ثم ان عدد اللاجئين يتضح بدقة من سجلات الوكالة لا من سجلات الدول العربية المضيفة • ولم يذكر الصهيونيون طبعا أن سبب اضطراب احصاءات السكان فى فلسطين كان راجعا الى هجرة اليهود غير المشروعة اليها بعشرات الآلاف كل عام •

٣ ـ أن نسبة كبيرة من اللاجئين استقرت معاشيا بالفعل فى الدول العربية المضيفة ، وكان من الممكن أن يزداد هذا العدد لولا أن الحكومات العربية ترفض تطبيق توصيات الأمم المتحدة بالتوطين فى الدول العربية على غرار ما قامت به الأمم المتحدة عقب الحرب العالمية الثانية بالنسبة لمشاكل اللاجئين فى الهند والباكستان وكوريا وألمانيا وفنلندا •

والرد على هذا هو أن اللاجئين فى الدول الأخيرة قد توطنوا برضاهم من ناحية (الهند والباكستان) ، أو استوطنوا فى أجزاء أخرى من بلادهم نفسها (كوريا وألمانيا بشطريهما) • وقد أثبت عدوان ٥ يونية أن النسبة الضئيلة التى تركت الضفة الغربية وغزة قد فعلت ذلك تحت التهديد ، بل ان كثيرين منهم عادوا سرا فى الليل ليطردوا ثانية فى الصباح • وهذا يرد على نقطة

أخرى وهى أن عرب فلسطين (حتى وهم مســـتقرون فى الدول المجاورة) هم الذين يحاربون مشروعات التوطين ، وأكد ذلك سارتو نفسه حين قال انه وجد اللاجئين « مصممين بالتأكيد على العودة »٠

٤ ـ أن عروض اسرائيل المتكررة لتعويض اللاجئين وتبادل اليهود المقيمين فى الدول العربية مع العرب المقيمين في اسرائيـل ما زالت موضع الرفض ٠

والرد على ذلك أن قرارات الأمم المتحدة التى تصدر سنويا منذ انشائها ما زالت تطالب اسرائيل بعـــودة اللاجئين وتعويض غير الراغبين فى العودة ٠ ولكنهـــا لم تتخذ أية خطوة لاعـــادة اللاجئين بل تظاهـــرت باستعدادهـــا لتعويض جميـــع اللاجئين (الراغبين وغير الراغبين فى العودة على شرط الا يعودوا) ٠ حتى هذا التظاهر بالتعويض لم ينفذ لأن اسرائيل اشترطت الدخول فى مفاوضات مع العرب قبل تنفيذه ، لا العكس ٠

الفصل الحادى عشر

خرافة الشجاعة الاسرائيلية

من النقاط البارزة التى يثيرها الصهاينة ويواجهها العربى فى الخارج على الدوام الزعم بأن اسرائيل بمفردها قد هزمت جيوش سبع دول عربية فى معركة فلسطين عـــام ١٩٤٨ وهى نقطة تلقى نصيبا من الترويج فى الغرب بالذات •

ولكن الدراسات الجادة التى قام بها الدكتور فايز صايغ قد كشفت عن حقيقة مذهلة وهى ان قوة اسرائيل العســـكرية فى المعركة الى قوة العرب كانت بنسبة ثلاثة الى واحد • هذا من حيث القوة العددية • أما من حيث التسليح والتموين فقد كانت النســبة أكثر من ذلك بكثير • والفضل فى ذلك كله لا يرجع الى اسرائيل بقدر ما يرجع الى تواطؤ بريطانيا وأمريكا اللتان كانتا تقدمـــان مساعدات ضخمة للعصابات اليهودية من حيث التدريب والتسليح والتموين سواء بالتغاضى أو بالتأييد الصريح ،فى الوقت الذى كانت فيه حكومة الانتداب البريطانى تقمع كل تنظيم مسلح لعرب فلسطين بلا رحمة ولاذ هوادة •

وفى الوقت ذاته كانت الدول الغربيـــة تفرض حصـــارا اقتصاديا وسياسيا على تسليح الدول العربية خلال حرب فلسطين وكانت تشيكوسلوفاكيا وحدها هى تزود العرب واسرائيل بالأسلحة فضلا عن ان الدول الشيوعية المخدوعة حينذاك كانت قد أيدت قرار التقسيم ووقف اندريه جروميكو مندوب الاتحاد السوفيتى فى الأمم

المتحدة حينذاك يهاجم تدخل الدول العربية التى أرسلت جيوشها الى فلسطين بحجة أنها تهدف الى « قمع حركة التحرير الوطنى فى فلسطين » • وقد ظلت الدول الشيوعية تؤيد الصهيونية ودولتها الاجرامية حتى عام ١٩٥٢ حين ظهرت قضية سلانسكى الشهيرة فى تشيكوسلوفاكيا التى أعدم فيها عشرة من كبار المسئولين اليهود فى الحكومة والحزب الشيوعى بتهمة العمل ضد مصلحة البلاد واساءة استغلال نفوذهم لصالح جهات أجنبية ، كما فصلنا ذلك فى مكان آخر من الكتاب •

معنى ذلك ان اسرائيل كانت حتى ذلك الحين موضع تأييد الكتلتين الشرقية والغربية فى الوقت الذى لم يكن للعرب فيه نصير لا فى الشرق ولا فى الغرب ، فضلا عن اعتمادها على اقتصاديات محلية كانت فى الحضيض •

هكذا كانت معركة عام ١٩٤٨ غير متكافئة عسكريا أو سياسيا • واذا كانت العصابة الاسرائيلية قد فازت فلأنها كانت أقوى عدة وعددا وسندا وليس أكثر شجاعة وبطولة كما تروج أساطير الدعاية الصهيونية • وقد تحطمت هذه الخرافة فى معركة العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ حين قضت اسرائيل مائة ساعة فى الوحل، وفى ١٩٦٧ حين لم يبق فى ميدان المعركة سوى عدد هائل غير متكافىء من الطائرات الاسرائيلية ، وقد اعترف الوزير البريطانى السابق أنتونى ناتنج أن اسرائيل كسبت الحرب بالتكنولوجيا فقط • وزاد ديجول على ذلك (فى حديث مع دبلوماسى أجنبى) قبل عدوان ٥ يونية أن اسرائيل قد تكسب المعركة فى جولتها الأولى بفضل التقدم التكنولوجى ، ولكن مع مرور الوقت تفقد التكنولوجيا قيمتها وترجح كفة العرب •

الفصل الثاني عشر

هل يريدون الصلح حقا ؟

كلا ، حتى لو وافق العرب على ذلك !

يقول الدكتور فايز الصايغ : « انني مقتنع أن اسرائيل لا تريد السلام في الشرق الأوسط . وهي ترفضه على أساس الوضع القائم في المنطقة ، تماما كما نرفضه نحن العرب . السلام على أساس الوضع الراهن بالنسبة لنا معناه التخلي عن حقوقنا في فلسطين ، والسلام بالنسبة لاسرائيل معناه التخلي عن طموحها القائم بدولة اسرائيل الموعودة » .

لماذا يطالبون بالصلح اذن ؟

يرد الدكتور فايز الصايغ على ذلك من خبرته بالدعاية الصهيونية في أمريكا سنوات طويلة :

« ان ما تردده الدعاية الصهيونية عن الرغبة في التفاوض مع العرب يخفي وراءه أهدافا أخرى ، كمحاولة قطع الطريق على مقرري السياسة الأمريكية من التفكير في أي حل وسط يرغم اسرائيل على التخلي عن منطقة معينة من الأرض ، أو الاعتراف بأي حق للاجئين الفلسطينيين أو التخلي عن مدينة القدس .

« ان الدعاية الصهيونية تحول دون مثل هذه الحلول الوسطى على أساس أن المشكلة الأساسية تنحصر في نوايا الحرب لدى

العرب ، وأن الحل هو الضغط (مجرد الضغط) على العرب لقبول السلام » .

ولكن لماذا يطالب اليهود اذن بضمان الحدود الحالية فى الشرق الأوسط ؟

« أما عن حملات الدعاية الصهيونية التى تطالب الولايات المتحدة بضمان الحدود الحالية فى الشرق الأوسط ، فأنا على اقتناع أن اسرائيل لا تريد ذلك .

« فالولايات المتحدة لا تستطيع ضمان الحدود القائمة الا للطرفين معا ، فضمانها لحدود اسرائيل مقابل أى هجوم عربى سيرافقه ضمان للجانب الآخر أيضا ، وهذا ما لا تقبل به اسرائيل فاسرائيل أقل تعرضا لهجوم عربى منها لقيام جيشها بالهجوم على الأراضى العربية التى تختارها وفى الوقت الذى تختاره سعيا نحو هدفها فى اقامة دولة اسرائيل الموعودة » (*)

الأمر الواقع الذى لا يثبت ابدا

اسرائيل اذن تطالب بالصلح وضمان حدودها أولا ثم تستغل رفض العرب أو صمتهم على ذلك فتقوم بهجمة هنا وهجمة هناك كى تتوسع وتحصل على بعض المغانم بشتى أنواعها .

وقد فعلت ذلك عدة مرات حتى حفظ العرب الأسطوانة عن ظهر قلب . فقبل أيام قليلة من مذابح قبية وسلمة وغزة (١٩٥٥ و ١٩٥٦) مثلا ، صدرت تصريحات رسمية اسرائيلية على ألسنة شاريت وأبا ايبان وبن جوريون وجولدا مائير تدعو الى السلام

(*) ثبت بشكل قاطع من العدوان الاخير أن أمريكا نفسها لا ترضى بضمان الحدود العربية طالما كان ذلك فى صالح التوسع الاستعمارى الاسرائيلى . وبذلك لم يعد هناك تضارب بين المخططين الامريكى والاسرائيلى .

وتحث العرب على قبول الصلح • ثم لا تلبث اسرائيل أن فرضت بالعدوان الأمر الواقع الجديد على العرب •

والحق أن سياسة القبول بالأمر الواقع قد وقع فى شباكها حتى أصدقاء العرب • فقد طالب ماكسيم رودنسون العرب بقبوله والاعتراف باسرائيل ، مع « ادانة أية حرب انتقامية عربية دون استفزاز من جانب اسرائيل » •

وعندما سمعت بذلك الكاتبة البريطانية ايثل مانين ثارت ثورة مضرية على رودنسون وكتبت لى تقول :

« ولماذا يجب استنكار مثل هذه الحرب ضد اسرائيل ؟ ثم هناك مسألة دعوة العرب لقبول الصلح والاعتراف باسرائيل •• الأسطوانة الصهيونية الخالدة ! قبول الأمر الواقع ! وهل قبل رودنسون كيهودى الأمر الواقع لليهود فى المانيا الهتلرية ؟ وهل قبل الجزائريون (الذين أيد رودنسون ثورتهم) الأمر الواقع الفرنسى فى بلادهم ؟ »

الحق أن الأمر الواقع الاسرائيلى لا ينتهى ، فهو يتجدد ويتغير دائما مع كل مكسب جديد ، سواء فى المرور فى خليج العقبة بعد عام ١٩٥٦ أو فى احتلال القدس وغزة وسيناء والضفة الغربية فى العدوان الأخير ،أو حتى فى زراعة المناطق المنزوعة السلاح قرب الحدود السورية قبل ذلك • فما هى الحدود الاقليمية للاعتراف بالأمر الواقع وفى أى عام ؟ هل يكون وفق عام ١٩٤٨ أو ١٩٤٩ حين استولى الصهاينة على ٢٣٪ من أراضى فلسطين وراء خطوط الهدنة دون اطلاق رصاصة واحدة ، أو عام ١٩٥٦ حين سمحت لنفسها بالمرور فى مضيق تيران المصرى ، أو عام ١٩٦٧ حين احتلت غزة وسيناء والضفة الغربية وأجزاء من سوريا ؟

ان اعتداءات اسرائيل فى الفصل التالى هى نموذج لسياسة اسرائيل فى الصلح وفرض الأمر الواقع بالقوة •

الفصل الثالث عشر

هذا هو سجل اسرائيل الحافل

ذات ليلة مشئومة منذ عشرين عاما ، سمعت أصوات الغناء والضحكات تنبعث من الحى اليهودى فى حى الكرمل بحيفا • وتملكنى فضول الصبيان فتسللت فى الظلام الى هناك • ورأيت الرجال والنساء سكارى يرقصون الهورا ويغنون ويتعانقون •• وعدت ادراجى وأنا أبكى فى صمت •• فقد كانت تلك ليلة اعلان مشروع التقسيم ••

من يومها بدأت جرائم اسرائيل والصهيونية الكبرى ، ولم تعرف الارض المقدسة حتى اليوم معنى السلام ••

قائمة سوداء طويلة سجلتها مواهب اسرائيل الاجرامية فى التفنن فى اهانة الأمم المتحدة والعرب فى كل مناسبة •

وصارت غطرسة القوة والايمان بان القوة حق (وليس العكس) هى السياسة الاسرائيلية المنتهجة فى فرض سياسة الامر الواقع ، معتمدة على اعتقاد سيكولوجى عميق أن الزمن والذهب والدعاية على السواء كفيلة باسدال ستار النسيان على أشد الجرائم فظاعة •

ولكنها نسيت كما قال عبد الناصر قبل العدوان الاخير : « ان الافراد يصابون بأعراض الشيخوخة وبينها النسيان ، ولكن الشعوب وجود حى متجدد دائم الشباب •• وان الذين يتصورون

ان القضايا المصيرية للامم والشعوب يمكن أن تموت بمرور الوقت وأن يصيبها الزمن باعراض الشيخوخة يقعون في خطأ كبير ٠٠ » ٠

واليــوم تجنى اسرائيـــل حصاد شوكها الذى زرعته طوال ١٩ عاما ٠٠ وهذه أهم الاشواك التى زرعتها اسرائيل فى قلب الامة العربية والامم المتحدة على السواء ٠٠

١ ـ خرق قرارات الامم المتحدة

١ ـ كان قرار التقسيم نفسه هو باكورة نشاط اسرائيل فى هذا الصدد ، فقد أعطى مشروع التقسيم اليهــود ٥٦٪ من الارض ولكنهم استولوا حتى الآن على ٧٧٪ ٠٠ والعجيب أن اسرائيل قد استولت على ٢٣٪ من هذه المنـــاطق ليس خلال الحرب بل خلال الهدنتين الاولى (١٨ تموز ١٩٤٨) والثانية (شباط ـ تموز ١٩٤٩)٠

٢ ـ أصــدرت الامم المتــحدة ١٦ قـــرارا باعادة اللاجئين الفلسطينيين أو تعويض غير الراغبين فى العودة كان أولها (القرار رقم ١٩٤/٣/الصادر فى ١١ ديسمبر ١٩٤٨) ولكن اسرائيل لم تنفذ شـيئا من هذه القرارات بالطبع ، بل صادرت حتى الآن أكثر من ١¼ مليون دونم (٣١٢ ألف فدان) من أجود الاراضى من الاقلية العربية الموجودة داخل اسرائيل وبخاصة عند الحدود ٠

٣ ـ ترددت الامم المتحدة طويلا فى قبول اسرائيـــل كعضو فيها الى أن قدمت عدة اقرارات وتعهــدات فى مؤتمر لوزان وأمام اللجنة السياسية للامم المتحدة بتنفيذ قرار اعادة اللاجئين وتعويضهم ٠٠ ولكن ما أن تم الاعتراف باسرائيل وقبولها فى المنظمة الدولية حتى أعلنت انها دولة ذات سيادة وليس للامم المتحدة سلطة عليها٠ وشربت الامم المتحدة المقلب !

٤ ـ نقض الاسرائيليون قرار الجمعية العامة عام ١٩٤٧ بأن

تكون القدس « ذات كيان مستقل تحت نظام دولى خاص وتحت ادارة الامم المتحدة عن طريق مجلس الوصاية » ٠٠ فقد نقلت اسرائيل برلمانها الى القدس في ١٧ ديسمبر (كانون أول) ١٩٤٩ وأعلنت القدس عاصمة لها ٠٠ وفى العام الماضى نقلت دوائرها الحكومية هناك وطلبت من جميع السفارات نقل نشاطها الى القدس ٠٠ كما أقامت عرضها العسكرى السنوى فى القدس فى مايو الماضى (١٩٦٧) لأول مرة منذ قيامها ٠٠

هذا الموقف قد لخصه بن جوريون بكلمة واحدة حين قال : « قرارات الامم المتحدة هذه قد ماتت ولن تبعث بعد اليوم ! » ٠

٢ ـ نقض اتفاقيات الهدنة

١ ـ احتل الاسرائيليون معظم المناطق منزوعة السلاح ، من بحيرة الحولة فى الشمال الى العوجة فى الجنوب ، منذ توقيع الهدنة الاولى وأقاموا فيها الاستحكامات والحشود العسكرية ٠

٢ ـ رفضت اسرائيل السماح لرجال الامم المتحدة بدخول المنطقة الحرام كما رفضت بشدة حضور اجتماعات لجنة الهدنة المشتركة مع سوريا ومصر ٠

٣ ـ رغم ان اتفاقية الهدنة نصت على ان لرئيس لجنة الهدنة سلطة اعادة المدنيين الى القرى العربية والمستعمرات اليهودية فى المنطقة منزوعة السلاح فقد طردت اسرائيل سكان القرى العربية خارج الحدود أو داخل اسرائيل وصادرت أراضيهم وأقامت عليها مستعمرات يهودية ٠

٤ ـ اخترقت اسرائيل بعد اسبوعين فقط من توقيع الهدنة الثانية مع مصر (٢٤ شباط ١٩٤٩) خط الهدنة واحتلت

الجزء الجنوبى من النقب الممتد حتى خليج العقبة وأقامت خليج ايلات مكان بلدة أم الرشراش العربية .. ومع ان هذه المنطقة تعادل مساحة قطاع غزه الحالى عدة مرات الا أن مجلس الأمن لم يحرك ساكنا .. كما استولت على منطقة الحولة وجففت بحيرتها وطردت ٦٣٠ عربيا من شرق بحيرة طبريا عام ١٩٥١ واستولت على كل ما استردته سوريا من فلسطين شرق البحيرة باستثناء الحمه .

٥ ـ دمرت اسرائيل حتى عام ١٩٥٥ نحو ١٨٧ قرية وبلدة عربية عددها عبد الله التل فى كتابه « خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية » . وبعضها كان مهجورا ولكن معظمها كان مأهولا . وقد رفضت اسرائيل فى معظم الاحوال أن تبنى بيوتا جديدة مكان القديمة المدمرة .

٣ ـ الاعتداءات المسلحة ضد العرب على الحدود

ضربت اسرائيل فى هذا الميدان رقما قياسيا ، وخاصة على حدود الاردن (الضفة الغربية) ، وكانت حجة اسرائيل الخالدة فى ذلك هو انها تفعل ذلك ردا على خرق الاردن لاتفاقيات الهدنة .. ولكن تقرير الامم المتحدة فى العام الماضى يشير الى ان الاردن قدمت خلال الخمسة عشر عاما الماضية ٦٫٧٢٧ شكوى من اعتداءات اسرائيل على حدودها ، فى حين بلغ عدد شكاوى الجانب الاسرائيلى ٤٫٤٦٩ فى نفس المدة . وهذه الاحصائية تثبت بصورة شبه قاطعة ان اسرائيل كانت البادئة غالبا بالعدوان .. أما عن الاعتداءات على مصر فقد بلغت حتى شباط ١٩٥٧ حوالى ١١١٢ عدوانا ثم توقفت مؤقتا بعد قدوم قوات الطوارىء الدولية ..

وأهم الاعتداءات التى أدينت فيها اسرائيل مذبحة دير ياسين (٩ نيسان (ابريل) ١٩٤٨) التى قتل فيها ٢٥٠ عربيا من مجموع تعداد القرية (٣٠٠) وكان معظمهم من النساء والاطفال وكثير من

الحوامل · ومع ان القرية كانت محتلة قبل ذلك بفترة الا ان الهدف من ذلك كان ارهاب العرب الى حد الهجرة وفق « سياسة حدوة الحصان » (أى ارهاب الناس على شــكل حدوة مع ترك منفذ لهم يشجعهم على الهرب ومغادرة المنطقة) مع اثارة دعاية قوية حول المذبحة بحيث يفزع العرب ويهربون . وقد نجحت هذه الدعاية التى أثيرت حول المذبحة ــ أكثر من المذبحة نفســها ــ فى دفع مئات آلاف العـــرب الى الهجرة ، كمــا اعترف بذلك الزعيم الارهابى مناحيم بيجن ·

وكان أقسى ما فى الامر ان النســاء اللائى نجون من الموت جردن من ملابسهن تمــاما ووضعوهن فى سيارات نقل مكشوفة وطافوا بهن شوارع القدس المحتلة وهن يبكين ويتقبلن اهانات المارة فى صمت ورعب هستيرى ·

وبعدها بأسبوع جاءت مذبحة قرية ناصر الدين بالرشاشات والقنابل اليدوية ولم ينج من سكانها غير أربعين شخصا ··

ثم تتالت المذابح : قبيه عام ١٩٥٣ (٤٢ قتيلا منهم ٣٨ امرأة وطفلا) وهى داخل الاراضى المحتلة ثم غزه عام ١٩٥٥ (٣٨ قتيلا و ٣٠ جريحــا) ·· وبعد ذلك بثلاثة أسابيع (٢٠ أيلول ١٩٥٥) احتلت اسرائيل منطقة العوجه المنزوعة السلاح بموجب اتفــاقية الهدنة واعتقلت ممثل الامم المتحدة هناك واطلقت النار على العرب فجرحت ضابطا وجنــديين مصريين ·· ومع ذلك لم يحرك مجلس الامن ساكنا حينذاك ·

ثم جاء اعتداء اسرائيل على الشاطىء الشرقى السورى لبحيرة طبريا فى نهاية ١٩٥٥ (٥٦ قتيلا) وعلى غزة وخان يونس فى نيسان ١٩٥٦ (٥٥ قتيلا و ١٠٢ جريح) ·· ثم العدوان الثلاثى على غزة وسيناء الذى استهلته اسرائيل بمذبحة وحشية غريبــة يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ فى قرية كفر قاسم التى تقع داخل الاراضى المحتلة

بعيدا عن ميدان المعركة وقريبا من يافا .. وقد أسفر الهجوم الذى كان مفاجأة للفلاحين عن ٥١ قتيلا و ١٣ جريحا .. ولكن المذبحة ضاعت فى غمرة العدوان الثلاثى الذى راحت ضحيته أيضا عدة آلاف وآلاف .

ومن الملاحظ ان اسرائيل قد غيرت سياستها منذ ذلك الحين فكفت عن المذابح الداخلية وتفرغت للاعتداءات الخارجية ذات التنظيم العسكرى وخاصة على سوريا :

• عشر اعتداءات على الضفة الشرقية المنزوعة السلاح من بحيرة طبريا (آذار ١٩٦٢) انتهت بغارات جوية على خمسة قرى فى منطقة الحمة واشتباك جوى .

• تدمير منشئات مشروع تحويل روافد الاردن (١٤ تموز ١٩٦٦) ثم معركة جوية اسفرت عن اسقاط طائرتين لاسرائيل وطائرة سورية .

.. معركة بحرية وجوية لمدة ثلاث ساعات (١٥ آب ١٩٦٦) نتيجة اختراق الزوارق الاسرائيلية المياه الممنوعة ، وانتهت بتدمير عشرة زوارق اسرائيلية مسلحة وقتل حوالى ٥٠ ـ ١٠٠ من رجالها فضلا عن تدمير منشئات عين جيف على الشاطىء المحتل .

• معركة جوية وبرية بالطائرات والدبابات (آذار ١٩٦٦) عند شاطىء بحيرة طبريا اسفرت عن تحطيم ستة جرارات وثلاث سيارات ودبابة واحدة لاسرائيل .

• مذبحة السموع (١٣ نوفمبر ١٩٦٦) وراح ضحيتها نحو ٢٨٠ قتيلا فضلا عن تدمير القرية كلها تقريبا ..

• اعتداء جوى على سوريا اشتركت فيه نحو ٧٠ طائرة اسرائيلية (١٨ نيسان ١٩٦٧) انتهى باسقاط ثلاث طائرات اسرائيلية وست سورية ..

• العدوان الثلاثى الجديد الذى لم تتم فصوله بعد .

٤ ـ الاعتداءات على العرب داخل الاراضى المحتلة

والشواهد على ذلك كثيرة :

• تدمير عشرات القرى العربية وترحيل حوالى ٣٥ آلفا من سكانها الى خارج اسرائيل أو داخلها ومنعهم من العودة الى ديارهم الاصلية ٠

• جعل العرب فى الارض المحتلة مواطنين من الدرجة الثانية ٠

• فرضت اسرائيل قيودا على انتقالهم وتحركاتهم وحددت اقامة كثير منهم لأسباب تافهة ٠

• حرمت عليهم السفر خارج البلاد الا اذا تنازل من يريد السفر عن حقه فى العودة نهائيا أو قدم أفراد أسرته رهائن ٠

• استولت على جميع الاوقاف العربية وريعها ٠

• صادرت حتى الآن مليون وربع مليون دونم من أراضيهم ٠

• فرضت قيودا على تعليمهم وعلى تدريس العربية لهم وحالت دون وصول الكثير منهم الى الجامعة ٠٠

• تطبل اسرائيل وتزمر لوجود ستة من العرب في الكنيست (البرلمان) ولكنها لا تذكر أبدا ان العرب محرومون من تأليف أحزاب أو نقابات عمالية ، وان هؤلاء النواب لا يمكنهم دخول البرلمان الا اذا كانوا أعضاء فى حزب يهودى ٠٠

• تحويل بعض المساجد والكنائس الى معسكرات (فى حيفا) بل واسطبلات (فى الناصرية) واستخدام أجراس الكنائس كناقوس للطعام فى المعسكرات (طبريا)

٥ ـ ادانات الامم المتحدة ومجلس الامن

أدانت الجمعية العامة للامم المتحدة اسرائيل ٢٩ مرة وأدانها مجلس الامن ست مرات لاعتداءات عسكرية على العرب وبذلك ضربت الرقم القياسى فى هذا المعنى ـ بين دول الامم المتحدة بلا استثناء ، وتكاد تستنفد عدد الادانات اللازم لطردها من الامم المتحدة كما ينص ميثاقها • بينما لم تدن أية دولة عربية حتى الآن من قبل مجلس الامن ••

وهذا بيان بادانات مجلس الامن لاسرائيل :

١ ـ احتلال منطقة الحولة منزوعة السلاح وطرد سكانها (القرار رقم س ـ ٢١٥٧ الصادر فى ١٨ نيسان ١٩٥١) •

٢ ـ مذبحة قبية القرار رقم س/١٣٣٩ معدل بتاريخ ٢٤ تشرين ثانى ١٩٥٣) •

٣ ـ الاعتداء على غزة (قرار رقم س/٣٣٧٨ فى ٢٩ آذار ١٩٥٥) •

٤ ـ مذبحة طبريا عند الحدود السورية (قرار رقم س/٣٥٣٨ الصادر في ١٩ كانون ثانى ١٩٥٦) •

٥ ـ الاعتداء على الحدود السورية قرب بحيرة طبريا (قرار رقم س/٥١١١ فى ٩ نيسان ١٩٦٢) •

ويمكن أن نضيف الى هذا قرارين أصدهما المجلس بادانة اسرائيل لاغتيال الوسيط الدولى للامم المتحدة الكونت فولك برنادوت • أما العدوان الثلاثى فقد صدر قرار الادانة فيه من الجمعية العامة •

وجدير بالذكر ان مجلس الامن رفض ادانة اسرائيـــل فى اعتدائهـا الجـوى العنيف على منشئات تحويل روافد الاردن داخل سوريا (١٤ تموز ١٩٦٦) فقررت سوريا ألا تشكو الى المجلس بعد ذلك وأن تأخذ حقها بيدها ٠

٦ ـ اعتداءات على رجال الامم المتحدة

ومن أهمها :

٠ اغتيال الكونت السـويدى فولك برنادوت فى ١٧ تشرين أول ١٩٤٨ فى مدينة القدس لأنه اعترف ان اسرائيل هى « ثمرة العنف وسفك الدماء » ولانه طالب بعـودة اللاجئين وبرد اسرائيل للمناطق المحتلة الزائدة عن حدود مشروع التقسيم ٠

٠ هددت اسرائيل كبير مراقبى الهدنة الجنرال فان هورن بالقتل ثلاث مرات اذا لم يغادر البلاد خلال أسبوع (ايار ١٩٦٢) بسبب تقريره الذى أدى الى ادانة اسرائيل لاعتدائها على بحـيرة طبرية ٠

٠ هددت بالقتل الكوماندور هتشيسون كبير مراقبى الهدنة قبل ذلك لاتهامه اسرائيل بالعدوان على العرب ٠ وقد جرت مؤامرة فاشلة لقتله فعلا ٠

٠ أطلقت النار على طائرة الجنرال ريكى قائد قوات الطوارىء الدولية فى أيار ١٩٦٧ ٠

تلك مجرد عينات من سجل اسرائيل الحافل ٠

الفصل الرابع عشر

ماذا عن خطة العمل ؟

اول ما يجب أن ندركه أن الدعاية ليست الا وسيلة ، ووسيلة مرنة لخدمة الاهداف السياسية والعقائدية . ولهذا علينا — كما يقول الدكتور فايز الصايغ — « ألا نأخذ دائما بظواهر الاهداف التى تعبر عنها الدعاية الصهيونية ، بل أن نبحث — كقاعدة — عن علاقتها الديالكتيكية بأهداف اسرائيل الدائمة » .

كيف نواجه الامر اذن ؟

الحق أن هناك أمرين يجب مراعاتهما فى مواجهة الدعاية الصهيونية ، سواء أكانت هذه المواجهة شفويا أم كتابيا أم فوتوغرافيا . وهذان الامران هما :

١ — مايجب التخلص منه .

٢ — مايجب الاقدام عليه .

التخلص من العيوب

وعيوب الدعاية العربية كثيرة ولابد من التخلص من هذه العوائق التى عدد بعضها محمد حسنين هيكل مؤخرا : *

١ — « ان ألفاظنا تعبر فى كثير من الاحيان عن أكثر مما نقصد

(*) الأهرام ١٩٦٧/٦/٣٠

وأكثر مما نستطيع ، على نحو ماكانت تطلقه اذاعاتنــا عموما من نداءات بالقتل والسحق » .

ويمكن أن نضـيف الى ذلك كبرهان ماقاله لى لازاريدس عضو البرلمان القبرصى ورئيس لجنة الصداقة العربية القبرصية الذى قام بدور كبير فى تأييد كفـاح العرب ومسـاعدة ضـحايا العدوان وتعبئة المواطنين القبارصة للتطوع فى صفوف العرب .

قال لازاريدس :

« يجب عليكم الآن أكثر من اى وقت مضى وضع شعاراتكم بدقة ، فجميع الناس كانوا يعتقدون أن اسرائيل المسالمة مهددة بحرب ابادة عنصرية على يد العرب . ولولا العدوان الاخـير لمـا اكتشف الناس الحقيقة قط » .

اى أن الفضل فى كشف الحقيقة لايرجع الى العرب بل الى ما فعلته اسرائيل .

ويستأنف هيكل حديثه فيقول :

٢ ـ « الخطأ الثانى أننا لانحسن عرض قضايانا أمام غيرنا ونتصور أن وضوح الحق فى جانبنا يكفى لاقناع غيرنا به ، فاذا لم يقتنعوا على الفور فهى النية السيئة من جانبهم ، وبعد ذلك نصبح عصبيين ، الامر الذى يسهل تصويره على أنه التعصب » .

والحـق أننا كثيرا مانأخــذ اى أجنبى ـ حتى ولو كان مستفسرا ـ على انه مشحون ضدنا وميئوس منه ، وهكذا نعامله كعدو مقدما .

٣ ـ « اننا نريد أن نقيم علاقاتنا مع الآخرين على أسـاس الابيض والاسود ، وبغير ظلال بين اللونين النقيضين . ومثال ذلك ضيقنا ببعض المواقف التى ظهرت فى ايطاليا . ولابد لى أن أقول

انه برغم ضيقى من اتجاهات ظهرت فى ايطاليا خلال الازمة الاخيرة فان هناك اتجاهات أخرى فى ايطاليا تستحق أن نشكرها أو ان نشجعها .

« ان الاله وحده هو الذى يستطيع أن يواجه عباده بأحد مصيرين لاثالث لهما : الجنة أو النار ، أما البشر فهم لايملكون هذا الحق ولا القوة الكافية لممارسته » .

٤ ــ « الخطأ الرابع أننا لانتصل بالعالم الخارجى بطريقة مباشرة ومؤثرة الا وتحت الشدة ، وذلك لايجعل من علاقاتنا مع غيرنا جسورا دائمة مفتوحة ، وانما يجعلها وقت الشدة قفزات تحمل مظنة الالحاح والضغط ، وكلاهما ثقيل » .

ويمكن أن نضيف الى ما قاله هيكل مآخذ أخرى :

٥ ــ أننا نقول دائما ما نحب ان نسمعه ، مثل القول بأننا قادرون على القضاء على اسرائيل فى ساعات ، وأن الصهيونى ليس سوى كوهين العجوز الاخنف الاصلع القمىء الذى لاهم له غير المال والمتاجرة بقريباته ، وأن منجزاتنا قد بلغت حد الكمال .

٦ ــ خير مثال على نزعتنا الخطابية العاطفية غير الموضوعية أننا أكثر الناس فى العالم كله استخداما لصيغة المبالغة وأفعل التفضيل (اكبر ، أول ، أضخم) .

٧ ــ هناك التضارب الشديد فى الارقام حتى فى الصفحة الواحدة بل فى نفس الفقرة ، مما يجعل الرجوع الى المصادر الاجنبية أمرا لابد منه ، وهذا يفسر احتفاءنا العظيم بكل المراجع الاجنبية التى تكتب عن الشرق الاوسط ، وكأن معلوماتنا ليست أولى وأقرب الى الطبيعة .

٨ ــ قلة ابراز الدلالة التقدمية والاشتراكية للثورة العربية

بطريقة موضوعية وعدم تخطيط الاعلام والتفاعل الثقافى مع الدول الأخرى بأسلوب متصل فعال .

٩ ــ نحن نركز ثقلنا الدعائى على الداخل أكثر من الخارج . ومهما قيل عن ضرورات المعركة فان النشرات المتزايدة التى تشرح فظائع النابالم ومشكلة مضايق تيران وأهمية البترول العربى وغيرها باللغات الاجنبية لاتزال اقل بكثير جدا مما ننشره على الصعيد المحلى ، رغم أن صفوفنا الوطنية والقومية قد تقاربت أكثر من أى وقت مضى .

١٠ ــ تأخر وصول النشرات الدعائية والصحف الى مكاتبنا فى الخارج بعد فوات المناسبة ، أمر خطير يشكو منه كل العرب فى الخارج بحيث يعجزهم عن توفير المعلومات والحجج والردود اللازمة على الدعايات المضادة فى حينها .

١١ ــ عدم استغلال تضارب المصالح والعقليات بين مختلف دول الاستعمار وحلفائه . وهنا يقول محمد حسنين هيكل : «مهما كانت تبعية بريطانيا للولايات المتحدة فان هناك فى جزء معين من العلاقات بين التابع والمتبوع تناقضا له تأثيره ، خصوصا بالنسبة للمصالح البريطانية فى الشرق الاوسط » .

١٢ ــ الصاق كل الجرائم الغامضة باليهود ، فاليهود هم الذين قتلوا كيندى وهمرشولد وغيرهما ، ومن هنا يسهل اتهامنا باللاسامية عن جدارة .

١٣ ــ هناك تضارب بين موقف بعض الأوساط العربية الرسمى وغير الرسمى من مسألة الاعتراف بالامر الواقع الاسرائيلى، ومدى قبول التقسيم ، وعودة اللاجئين وتعويضهم ، وابادة اليهود بعد العودة ، وتحديد المسئول الاول عن نكبة فلسطين ، والتفرقة بين الصهيونيين ويهود العالم ، وعدد اللاجئين الفلسطينيين ، وحتى

تسميه اللاجئين والفدائيين بالفلسطينيين احيانا وبالعرب أحيانا أخرى ــ وفق التسمية الأخيرة التى تصر عليهما اسرائيل (أنظر مقدمة الكتاب) .

ما يجب أن نقدم عليه

ماهى التحسينات التى يمكن ادخالها اذن على مخططنا الاعلامى ؟

١ ــ تقسيم المطبوعات والرسائل الدعائية بين الدول الاستعمارية حسب مصالحها الذاتية واستعداداتها الثقافية ومدى تغلغل الجاليات اليهودية فيها .

٢ ــ تركيز الثقل على الخارج ، وخاصة على الصحف اليسارية فى الوقت الحاضر . فهذه المرحلة اكثر مراحلنا الدعائية ملاءمة لذلك . ومن هنا تأتى أهمية تصوير القضية على أنها قضية صراع مرير مع الاستعمار العالمى .

٣ ــ يجب استباق الاحداث من الآن بالتأكيد على أن الحرب ليست عنصرية ولاحرب ابادة ، مع اثارة قضية اللاجئين والفظائع الاسرائيلية بشكل ملح ، والتلميح بعدة حقوق أخرى مثل تاميم المصالح البترولية الذى صار ــ كما يقول الشيخ عبد الله الطريقى الخبير البترولى ــ « أكثر فاعلية من ناحية وشرعية من ناحية أخرى، فى المرحلة النضالية الحاضرة » .

٤ ــ احياء التصريحات الاسرائيلية الرسمية القديمة التى تدعو الى التوسع وعدم عودة اللاجئين ، مع اشارة منا الى اضطهاد الأقلية العربية (والمسيحية منها بالذات) داخل الأرض المحتلة . ويجب أن نعالج قضية اللاجئين من اليوم على أساس الربط بين

ما حدث لهم عام ١٩٤٨ وعام ١٩٦٧ ، وبهذا ينعدم الفرق الزمنى والسياسى بين الحالتين فنعالجهما كمأساة واحدة وقضية واحدة ٠

٥ ـ التوسع فى ابراز طبيعة السياسة النازية لاسرائيل من حيث استخدامها حرفيا لأسلوب النازية فى فنون العنصرية ، وحرب الابادة ، والتهجير بالسلاح ، واستخدام الاسلحة المحرمة ، واحتقار قرارات الأمم المتحدة ، والتوسع الاقليمى بأى ثمن ٠ واستغلال شخصية موشى ديان وحده كرمز لهذا الاتجاه أمر لا يكفى ، فلابد من مقارنته بما فعله مناحيم بيجن وبن جوريون وغيرهما ٠

(أنظر الفصل السادس حول تعاون الصهيونية مع النازية فى عهد هتلر) ٠

٦ ـ استغلال الشعور بالانخداع الذى يسود العالم عامة واليساريين خاصة ، واظهار تناقضهم العقائدى بين محاربتهم للعنصرية والنازية والثيوقراطية والاستعمار الامريكى وازدواجية التبعية القومية ، والتوسع الاقليمى ، وبين تأييدهم لاسرائيل التى تتبنى كل هه الفظائع (أنظر الفصل الأول) ٠

٧ ـ تقديم تسهيلات دعائية وفنية استثنائية للمنظمات الطلابية العربية فى الخارج على نطاق واسع جدا ، سواء بتسهيل سرعة وانتظام وصول النشرات الدعائية ، أو بتخطيط ندوات سياسية يومية فى كل عاصمة أوروبية وأمريكية على التوالى ، سواء فى حرم الجامعات أو فى مراكز جمعيات الصداقة العربية الأجنبية ٠ فمكاتب الجامعة العربية تقوى على القليل ، وسفاراتنا الطلابية التى تتألف من مائتى فرع فى الخارج قادرة على الكثير ٠

٨ ـ معنى ذلك أن الاعلام وحده لا يكفى هنا ، فلابد من

بوسائل التأثير والتفاعل الثقافى باستخدام النشاط الفنى والفرق الفولكلورية خاصة والمهرجانات الثقافية الأخرى ٠

٩ ـ ابراز الدلالة التقدمية والوجه الاشتراكى للثورة العربية ابرازا موضوعيا متصلا لا يقتصر على المناسبات ٠ وتعميـق الحوار الفكرى المتصل مع مختلف المثقفين التقدميين فى العـالم بمختلف الوسائل كالكتب والندوات والمؤتمرات والمهرجانات الى غير ذلك

* * *

تلك مجرد ملاحظات كيلا تلهث دعايتنـــا وراء الأحداث ٠٠ وما أسرعها اليوم ٠

مراجع البحث

ـ اليهود أنثروبولوجيا : الدكتور جمال حمدان ـ القاهرة ، ١٩٦٦

ـ الاقتصاد الاسرائيلى فى الميزان : الدكتور يوسف أبو الحجاج ـ القاهرة ، ١٩٦٦

ـ المعركة بين العرب واسرائيل (لمجموعة من الكتاب) ـ القاهرة ١٩٦٧ .

ـ هكذا ضاعت وهكذا تعود : نقولا الدر (الطبعة الثانية) بيروت ١٩٦٤ .

ـ العرب فى أوروبا : الدكتور على حسنى الخربوطلى ـ القاهرة ١٩٦٥ .

ـ قضية فلسطين فى الامم المتحدة : سامى هداوى ـ القاهرة ١٩٦٥ .

ـ بروتوكولات حكماء صهيون ـ ترجمة محمد خليفة التونسى ، القاهرة ١٩٦١ .

ـ خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية : عبد الله التل ، القاهرة ١٩٦٤ .

ـ اسرائيل اداة الاستعمار الغربى ـ تقرير اتحاد طلاب فلسطين ، القاهرة ١٩٦٥ .

ـ تقرير أمانة الدول العربية الى رؤساء أجهزة فلسطين ، ١٩٦٢ .

ـ مجلة السياسة الدولية ـ العدد الاول ، ١٩٦٥ .

ـ مجلة جبل الزيتون (نشرة الاتحاد العام لطلاب فلسطين) الاعداد ١ ـ ٨ .

— The Arab Refugees, Arab Statements and Facts : Information Dept of the Israeli Ministry of Foreign Affairs, Jerusalem, 1961.

— The Other Side of the Coin : Alfred Lilenthal, New York, 1966.

— The Works of Tacitus, Vol. 2, George Bell, London, 1887.

— The Truth About Israeli Peace Offers, reprinted by the General Union of Palestine Students (GUPS), Cairo, 1963.

— Palestine Partitioned : Sami Hedawi (reprinted by the GUPS), Cairo, 1965.

— The Arab Minority in Israel : Sami Hedawi (reprinted by the GUPS), Cairo, 1965.

— Mount of Olives, publication of the GUPS, Nr. 1-3, Cairo, 1964.

— Issues, publication of the American Council for Judaism, New York, 1964.

— International Yearbook and Statesman's Who is Who, 1964.

الفهرس

وزارة الثقافة
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر
دار الكاتب العربي للطباعة والنشر

